روايات عبير الجديدة

فيوليت وينسبر

رحلة إلى المجهول

www.Rewity.com
Just Faith

www.Rewity.com

رحلة الى المجهول

فيوليت وينسبير

مظلماً، متوحشاً وغامضاً.

هذا هو غارد سانت كلير.

فقد احس بالمرارة نتيجة الحادث الرهيب الذي افقده عمله.

نانسي ستتزوجه - او هكذا قال لها بعدما تعافت من الحادث الذي افقدها ذاكرتها.

اضطرت لتصديقه، كما اضطرت للاعتماد عليه، حيث بدت انها لا تملك احداً غيره في هذه الدنيا. فبصريح العبارة لم يحبها. فماذا يمكن لرجل خبير بأموال العالم مثل غارد من نكرة آتية من دير رهبان.

بينما امرأة مناسبة - حبه القديم الممثلة الجميلة ستيلاماريك - هو ما يريد!.

رحلة الى المجهول

فيوليت وينسبير

مظلماً، متوحشاً وغامضاً.

هذا هو غارد سانت كلير.

فقد احس بالمرارة نتيجة الحادث الرهيب الذي افقده عمله.

نانسي ستتزوجه - او هكذا قال لها بعدما تعافت من الحادث الذي افقدها ذاكرتها.

اضطرت لتصديقه، كما اضطرت للاعتماد عليه، حيث بدت انها لا تملك احداً غيره في هذه الدنيا. فبصريح العبارة لم يحبها. فماذا يمكن لرجل خبير بأموال العالم مثل غارد من نكرة آتية من دير رهبان.

بينما امرأة مناسبة - حبه القديم الممثلة الجميلة ستيلاماريك - هو ما يريد!.

www.Rewity.com

الفصل الاول

أرادت، بكل جزء من جسدها، بكل نبضة من نبضاتها ان تعود الى القرية، إلى ذلك النزل الصغير، الحميم، لكن كانت يداها مندفعتان نحو الباب بشيء اعمق من احساسها وخوفها من هذا البيت الذي يقع بين البر والبحر. ارتجف جسد نانسي عندما احست ببرودة وقساوة باب الحديد.

اقفل الباب خلفها، ووقفت الشجيرات كالحراس على طول الخط المؤدي الى التراس طاردة المظهر الكاذب لساحرة البحر، من رأس نانسي..

وُضعت اوانٍ حجرية على الشرفة حيث تدلت منها أنواع من الازهار البيضاء كراقصات الباليه الصغيرات، منهكات، وذات رائحة عطرة. صعدت نانسي الدرجات المؤدية الى الباب الخشبي الكبير، وكل خطوة نحوه كانت مترددة وكأن اصابع خفية تمسك قدميها وتشدها الى الوراء.

شعرت وكأنها طفلة من جديد، تستجمع قواها لمواجهة الراهبة الام. الباب المؤدي الى غرفتها الخصوصية كان من خشب

السنديان، فبعد أن يطرق التلميذ الباب، تمر دقائق قبل ان يقرع جرس الدخول، لمواجهة تلك النظرات النفاذة. لقد قيل في الدير ان الراهبة الام باستطاعتها النفاذ إلى روح الفتاة. ونانسي لم ترد تلك القوى المرئية ان تكون عند تلك المرأة التي تقرع الان بابها والتي ارادتها ان تبقى عندها.

«حسناً، اذهبي الى الدنيا!» قالت. «لكن تذكري ان بإمكانك العودة دائماً الى الدير، اذا وجدت الحياة خلف جدرانه غير ملائمة، فبابنا مفتوح لك دائماً، لحياة تقية، ورعة تعوضك عن أمور كثيرة يا صغيرتي».

ادركت نانسي من طريقة كلام الراهبة ام لطيفة، انها تحذرها، لانها لم تكن كرفيقاتها، بل كانت بسيطة جداً. فقد تجد الحياة أقسى من توقعاتها بينما هي في افكارها فُتح الباب امامي، فوجدت امامها عينان قاسيتان ومتجهمتان، تحدق بها.

«أود ان أرى السيد غارد سانت كلير». اجبرت نفسها لتبدو اكثر ثقة مما كانت تشعر «بقضية طارئة».

بنظرة باردة من عيني الخادم، ادركت انه يحدق بثوبها الرقيق وحذائها المسطح من دير الراهبات، فشعرت وكأنها تلميذة بينما امتدت يده على مضض لادخالها.

«السيد في المنزل». قال الخادم بصوت بارد كالقاعة التي ادخلها اليها تماماً. «لكني لا استطيع التأكد من انه سيقابلك، ما اسمك لاعلمه؟».

اخبرته بأن اسمها نانسي، لكنها لم تلق اي ترحيب من ذلك الوجه العابس، عند معرفة اسمها.

«اذا انتظرت هنا، آنسة رايفورد، سأعلم السيد بطلبك لمقابلته، تفضلي بالجلوس».

راقبت نانسي الخادم، يختفي في آخر القاعة. مشاهدة تلك الرسوم على الجدران. وتلك الثريات العملاقة، لكن كل شيء كان بلا حياة، وبلا بهجة.

وضعت يديها في جيوبها بعدما احست بالبرد يعتريها، والتفتت لترى الخادم قادماً نحوها.

«اذا تفضلت من هذه الناحية، يا آنسة، سيراك سيدي لبضع دقائق».

انعكس مظهرها في مرآة الحائط وهي سائرة فبدت وكأنها قطة نحيلة ذات عينين خضراوين اتت لتتوسل بعض الرحمة من غارد سانت كلير. وبما انها الان شعرت بجو هذا المنزل وبرودته، تملكها شعور موحش بانها ستعود خالية القلب والوفاض، تماماً كما وصلت.

عندما فتح الباب، وثب ضوء النار نحوها، فغريزياً ارادت ان تركض نحو المدفأة التماساً لبعض الدفء. لكن تلك التحفظات التي اكتسبتها في الدير منعتها.

لم تحب مظهر الرجل الذي جلس قرب المدفأة.

فهو لم يمد يده لمصافحتها عند دخولها فشعرت بطعنة استياء، فقد عرف من هي. اذاً لماذا يجب ان يكون مهذباً معها؟.

اغلق الخادم الباب وتركها وحيدة مع غارد سانت كلير.

«اقتربي» امرها بصوت عميق.

علقت انفاسها في حنجرتها عندما ادركت انه لم يصافحها لانه

متكبر او معجرف. فكُم جاكيته الايمن كان معلقاً بدبابيس وفارغاً فالذراع الايمن لهذا القائد الموسيقي الشهير كان مفقوداً، ولم تدرك ذلك.

«اخبرني دوم ان اسمك رايفورد».

«دوم...؟».

حدقت باستغراب وعصبية بالرجل الذي اخذ منها فرصة الحصول على منزل بين جدران الدير.

«خادمي الخصوصي».

لم تضيء ابتسامته الساخرة وجهه الداكن.

«انت قريبة نويل رايفورد؟».

«انا ابنته» امسكت اعصابها جيداً. وكأنها تريد منعه من النظر اليها باحتقار. لان نويل كان في السجن، ينتظر اخلاء سبيله.

جالت نظراته عليها وكأنها تعريها من ثيابها.

نظرات غاضبة من رجل اعتراه الفضول حول ابنة الرجل الذي خدعه.

«لماذا اتيت الى هنا؟».

طالبها، بصوت ملىء بالازدراء وقلة الاحترام.

«لتتوسلي الرحمة لكاذب ومخادع؟ لرجل يرتكب المحرمات من اجل تأمين ذخيرة ليعيش حياة المجون دون ان يصنع عمل صادق واحد! ارتكب نويل رايفورد خطأ جسيماً عند مجيئه الى بيتي، فلقد قضيت سنوات عديدة بين انواع مختلفة من البشر، واستطيع التعرف على المتملقين من بعد. ادعيت تصديقي لحكايته عن طفل عاجز في مستشفى خيرية، لكن خطأه ظهر بسرعة. كان احمقاً، آنسة

رايفورد! كان عليه التحقق من شخصيتي قبلاً، كان عليه اكتشاف اني لم اكن ابداً رقيق القلب، حتى لو كانت الموسيقى هي حياتي».

اختفت الكلمات في صمت قاتل، نظرت نانسي الى كم جاكيته الفارغ، ثم نظرت بعيداً، فلم ترد ان تشفق على هذا الرجل الذي اكد لها ان نويل وقع ضحية طمعه وجشعه.

«كنت تعلم، انه سيبدل لك الشيك الذي اعطيته».

قالت متهمة.

«بالطبع، كنت اعلم هذا!».

قال متجهماً، قاطباً جبينه بمرارة.

كان وجهاً مخيفاً بالنسبة لفتاة اتت وحدها في هذا اليوم العاصف، لتعلم، انه صنع فخاً للضعيف لكن ليس الجشع نويل رايفورد التي كانت تأمل ان تؤمن له بيت مناسب، بعد اخراجه من بين القضبان.

«وسائلنا تنخر العظام» قطع عليها افكارها.

«رجال مثل رايفورد مصيرهم دائماً قضبان السجن واشك في ان بعض الاحاديث مع ملاك السماء، يصلحه. فهم يتطفلون على الناس ويخترعون اكاذيب جريئة من اجل الحصول على بعض ممتلكات البشر.

فقد اخبرني ان ابنته انت آنسة رايفورد مصابة بمرض مزمن، عاجزة عن تحريك يدك حتى، وانك برعاية الراهبات».

نظر الى حذائها المسطح ومعطفها المزرر حتى عنقها.

«لا اشك انك كنت في دير للراهبات، ولكن بما انك اجتزت كل

هذه المسافة من الدير الى هنا، فانت لست بعاجزة. والدليل انك اتيت لتجدي حلاً لمشكلة ابيك الذي انصحك ان تنسيه قبل ان يجعلك سيئة مثله».

«انت تتكلم كرجل بلا رحمة او شفقة على أحد».

قالت وهي تقول لنفسها، انها لا تبالي اذا كان قد حصل له اي حادث قطع له ذراعه.

كانت تعلم انه احد اعظم قائدي الفرق الموسيقية واشهرهم، فالراهبات كانوا يحبون سماع حفلاته الموسيقية، فقد تهتم احدى الراهبات له، لانه غير قادر على قيادة الحفلات بعد الآن. لكنها هي شعرت بالقسوة لتصرفاته تجاه نويل، الذي ربما استطاع اصلاح شأنه بمساعدة يد حازمة.

فالامر لم يعني شيئاً لغارد سانت كلير، انه وحيد في هذا العالم بعدما حكم على نويل.

ارتعشت في وقفتها. بينما تحرك هو بجفاف بعيداً عن المدفأة.

«لقد اخترت يوماً عصيباً لمهمتك» قال.

«اقتربي من النار، وادفيء يديك».

«انا بخير» وضعت يديها في جيوبها.

«لا اريد ان افرض عليك المساعدة، لكني آمل ان تسحب دعواك ضد ابي، فهو لم يصرف المال... فأنت لم تعطه الوقت لذلك!».

«لا بد ان نويل رايفورد، قد اورثك برودة اعصابه ايتها المرأة الصغيرة... ام ان براءتك الرهبانية، هي التي تدفعك لتتكلمي هكذا؟ اباك محتال! لقد وقع وقُبض عليه، وسيدفع ثمن خطأه، كما

تفعل جميعا لاي خطيئة نرتكبها، ماذا توقعت مني ان افعل، ان اخرجه فيذهب ليوقع بشراكه اشخاص غيري، يمتلكون مشاعر ربما ارق من مشاعري؟».

«انت نصبت له فخاً! عرفت لعينه وبدلاً من طرده خارج منزلك، اعطيته شيكاً، كان باستطاعتك وعظه، لكنك... لكنك قاس مع الجميع».

«قساوتي» قال.

«هي عملي، لقد اضعت وقتك في المجيء الى هنا، من الافضل لك الذهاب الى البيت».

«الفضل عائد لك، فليس لدي بيت» قالت بمرارة.

«عندما اخذ البوليس نويل، اعطتني مالكة المنزل مهلة اسبوع لاخلي الشقة. انت تملك منزلاً كبيراً، فبالتأكيد ليس لديك اي فكرة عن صعوبة ايجاد مسكن هذه الايام».

«هل تختلقين قصة اخرى، آنسة رايفورد؟» نظر اليها باحتقار.

«هل تتبعين خطى ابيك منذ الآن؟».

احياناً تمر حتى على الطف الناس والاكثر تواضعاً اوقاتاً تجعلهم يستميتون في الدفاع عن انفسهم».

رأت نانسي على الطاولة تمثال راعية بفستان ازرق من البورسلان، ركضت نحوه، وبكل ما اوتيت من قوة سحقته على الارض.

انكسر الى قطع صغيرة جداً، ولم تهتم، فكانت سعيدة، لانه كان جميلاً وقيماً، وها هو مكسور كآمالها في صنع حياة جديدة لنويل ولها.

نظرت بحقد الى غارد سانت كلير، فبدا اخضر عينيها عاصفاً.

«ستلتقطين كل قطعة بقطعتها» قال بصوت جليوي.

«لدي قطة تأتي لتلعب هنا، ولا اريدها ان تجرح مخالبها، اعملي بسرعة ثم من فضلك اتركي المنزل».

لو عصف غاضباً في وجهها، لما احست بهذا الذنب والندم المفاجىء، ركعت والتقطت قطع التمثال الصغيرة، فاندفعت دموع التعاسة الى عينيها، فلم تستطع رؤية القطع جيداً، جرحت اصبعها، فجرت منه قطرات قرمزية اللون، رفعت اصبعها لتمتص الدم فسمعت غارد سانت كلير الجليوي يدق جرسه بسرعة.

بعد دقائق، دخل الخادم.

«دوم لقد حصل حادث بسيط هل تنظف هذه البقايا؟ وارجوك احضار رباط يد للسيدة الصغيرة».

كانت تلف منديلها حول اصبعها، متجنبة نظرات غارد سانت كلير، عندما اتى الخادم، بالرباط شعرت بالحزن والتعاسة، فكان من السهل جداً ان تنهار وتبدأ بالنواح، لكنهم علموها في الدير ان البكاء هو مضيعة للجهد وللكرامة، رفعت رأسها واخبرت غارد سانت كلير انها جاهزة للرحيل.

«اعتذر لتضييع وقتك».

قالت ونظرت اليه بعينين خاويتين، متألمة لانها رمت نفسها ضد هذا الجدار الصخري، هذا الرجل الحجري الذي يقف بلا حراك قرب المدفأة.

«ماذا عن التمثال؟» سأل.

«لقد كان ثميناً، وانت حطمته، وعلي مطالبتك بالدفع».

«لا املك مالاً» قالت بجفاء.

«عليك ان تقاضيني مع نويل».

«هذا سيضعك حتماً على درب الفساد اليس كذلك؟».

نظرته كانت متهكمة، تحرك من جانب المدفأة، وقبل ان تلاحظ اي شيء قال.

دوم! اعتقد انه من الافضل ارشاد الانسة رايفورد الى الباب الامامي».

«حاضر، سيدي».

لفحتها الرياح الباردة، عندما فتح لها الباب الامامي، فضغطت على معطفها.

«تصبح على خير» قالت لدوم.

«يا آنسة دعيني احضر لك مظلة!».

تفاجأت نانسي من عرض دوم المفاجىء فاستدارت نحوه.

«شكراً لك» قالت «لكن الرياح ستفسدها».

«لديك طريق طويلة للوصول الى القرية».

«انا سريعة المشي».

اتجهت نحو الطريق وابتدأت مسيرتها، شقت طريقها بين رياح تلك الليلة الظلماء الممطرة، ولم تدر بنفسها ما اذا كان المطر ام الدموع التي على وجهها. لم تشعر ابداً بتلك الوحدة، او الهزيمة كما الآن. لقد حذروها ان العالم كبير، وفيه الكثير من القلوب القاسية... لكنها لم تحلم ابداً بوجود رجل مثل الذي رأته اليوم.

آه لو ان هذه الرياح فقط تعكس اتجاهها، فلا يصفع المطر وجهها، تجمدت يديها، وخالجها شعور بائس بانها المخلوق

الوحيد الذي يمكن ان يسير في ليلة كهذه. فالجميع الآن قرب النار، آمنين.

الفصل الثاني

كم كرهت غارد سانت كلير! فلم يستمع اليها او اهتزت مشاعره من كلمة قالتها.

ردة الفعل الوحيدة التي اظهرها هو تصميمه على الانتقام من كل مخالفين القانون، الذي اوضح عقله البارد وقلبه الاكثر برودة.

... لم تندم ابداً على تحطيمها لتمثاله... الشيء الوحيد الذي يمكنه ان يحب!.

هيمنت هذه الافكار على عقلها. فلم تدر انها اصبحت في منتصف الطريق حيث اعمت عينيها انوار سيارة مسرعة. رفعت ذراعيها بينما اندفعت المركبة نحوها، فاصبحت كالمتوسلة مرة اخرى. طالبة الرحمة من قوى لا تستطيع ابداً ضمانها.

فلقد اصطدمت ووقعت جرى كل شيء بسرعة مذهلة مظلمة حيث علمت انها تموت.

آلام وجهها العنيفة التي احدثتها السيارة المسرعة والتي اسرعت اكثر ولم تتوقف.

كالارنب البري، هربت، ضُربت، وتُركت، بينما تساقط المطر

عليها . . .

كان صوت طرقات المطر على النوافذ بارداً، وكانت آهات الرياح في الشجر، ووميض نار تلك الستائر الحريرية. بدت وكأنها اندفعت من حلم مخيف، لتجد نفسها آمنة، راقدة في سرير ضخم دافىء، ومرح.

لكن مع كل هذا، راودتها ذكريات مبهمة عن سرير اقسى من هذا، مصنوع من خشب صلب، لكن الذكرى غير ملموسة، فبالتأكيد هي جزء من الحلم الغريب الذي استيقظت منه لتوها.

تململت نانسي في سريرها بسعادة ناعسة، وغطت بنوم عميق، دون ان يراودها ذلك الحلم ثانية.

عند طلوع الصباح، دخلت امرأة الغرفة مرتدية زي ازرق، مرحة وحقيقية، فتحت الستائر لتفسح مجالاً لنور الشمس للدخول الى الغرفة.

«كيف حال مريضتي؟». سألت.

اندهشت مريضتها ونظرت باستغراب.

«انا. كنت مريضة!».

ابتسمت الممرضة وساعدتها في الجلوس. فوضعت الوسادات وراء ظهرها.

هكذا ستشعرين بتحسن!».

تكلمت المرأة بصوت محبب.

«هل ستتمتعين اليوم بتناول افطارك؟ اضطررت البارحة لملاعبتك، لكن يبدو الآن ان عينيك مشرقة».

«اجل، فأنا اشعر بتحسن».

حدقت العينان الخضراوان الكبيرتان بالممرضة.

«ماذا اصابني؟ منذ متى وانا مريضة؟».

«لقد صدمتك سيارة مسرعة يا عزيزتي، وتركك الى جانب الطريق تنازعين الموت من جراء ذلك المطر لو لم يجدك السيد دوم».

«دوم؟» تفوهت نانسي بالاسم وكأنها قد سمعته من قبل.

«اعتقد اني سمعت هذا الاسم في مكان ما».

«لا تجبري نفسك على التذكر» قالت الممرضة.

«سيعود اليك كل شيء في الوقت المناسب، فقد اصابك شرخ طفيف في رأسك. وقد اصيب بارتجاج منذ ثلاثة اسابيع تقريباً. فقد كنت كالطفلة تماماً».

«طفلة؟».

حدقت نانسي بيديها، فكانت اظافرها مقصوصة بشكل غير مرتب. وفجأة رأت خاتماً في يدها اليسرى، فتفحصته بتساؤل.

كان من الذهب موضوعاً عليه لآلىء صغيرة مع فص من الزفير، فقد كان مذهلاً جداً، لا يوصف نظرت الى الممرضة حيث جرفتها فضولية مفاجئة، لتسأل عن مرآة يد.

«انا ـ انا لا استطيع تذكر كيف ابدو، اليس هذا غريباً؟».

ناولتها الممرضة مرآة، فأمسكتها وتفحصت وجهها بدقة.

«آه، كم وجهي نحيل! لا يمكن ان اكون جميلة اليس كذلك؟».

«تذكري كل ما ممرت به يا عزيزتي، بالاضافة الى ذلك لا تهتمي لشكلك او كيف تبدين الآن لديك خطيب، فالحب

«الجمال بعينين الناظر، والآن عينيك اكثر تألقاً واشراقاً. استطيع رؤية ذلك اللون الاخضر الحيوي في عينيك. فكرة مضحكة...».

«ما المضحك... ان رجل ما سيعتني بقطعة جلد وعظم مثلي؟».

ضحكت الممرضة.

«آه، بالطبع انت تتحسنين! عندما يبدأ المريض بالكلام نعلم انه على حافة الشفاء، كنت افكر ان مع لون عينيك هذا، على الرجل ان يختار جوهرة من نفس اللون. على الرغم من ان الرجال ليس لديهم مخيلة واسعة، لكن يجب علي القول، انه يبدو عميقاً جداً».

«اخبريني، كيف شكله... انه امر غريب حقاً، ان لا اتذكر حتى ابسط الاشياء، كاسمي مثلاً، ووجه خطيبي، هل هو لطيف؟» سألت نانسي.

«هو رجل بكل معنى الكلمة، سأقول هذا له...».

«اجل، تابعي!» جلست نانسي في سريرها متلهفة لسمع التفاصيل، لتملأ تلك المسحات الخالية في رأسها.

«انا كالاميرة النائمة التي استيقظت لتوها بعد زمن طويل، هل هو طويل، وسيم، هل يحب ركوب الخيل؟ فلدي الشعور دائماً، اني لا استطيع الزواج الا من رجل يحب الخروج يحب رائحة الهواء والبحر».

«سترينه قريباً جداً والآن. سأذهب لاحضار صينية افطارك، هل تحبين البيض مع التوست وبعض الفواكه؟» سألت الممرضة.

«متى سأراه... وما اسمه؟».

كانت صرخة من القلب محاولة، لعدم تجاهلها.

«هو غارد سانت كلير، سيد الوسائل، وماهر كالشيطان...»

توقفت الممرضة، معلقة الكلمة في الهواء دون ان تكملها. واستدارت وخرجت من الغرفة.

فكرت نانسي وهي تنظر الى خاتمها، ماذا كانت تقصد بقولها هذا؟ سيد الوسائل، وماهر كالشيطان!.

فُتح الباب ودخلت الممرضة حاملة صينية الافطار، ووضعتها على السرير قرب نانسي.

«تفضلي، يا عزيزتي، كل شيء ساخن وملفوف بمحارم».

«ايتها الممرضة؟».

«نعم، يا عزيزتي؟ هل تريدين الدخول الى الحمام قبل تناول الافطار؟».

«لا، لكن اخبريني اين انا! هل هذا بيتي؟ ام عيادة خاصة... او منزل غارد سانت كلير؟».

«آه، هذا احدى اقدم واجمل منازل في كورنويل، بالطبع انه للسيد سانت كلير. فقد كان خادمه الذي وجدك... فبقيت اسبوع في المستشفى ومن ثم تدبر كل شيء، على ان يتم نقلك الى هنا، وآتي انا معك للاعتناء بك» صبت الممرضة القهوة.

«الآن اشربي هذا وكلي جيداً، ولا تدعي هذا الطعام الجيد يبرد».

«ألا يوجد مكان آخر، يمكنني الذهاب اليه؟».

فقد ارتجفت من اسم المنزل وكأنه بالنسبة لها، اسم يعني

التعاسة.

«لمـ ذا، يا عزيزتي؟ فالسيد سانت كلير فعل الافضل لك، ودفع لي لابقى هنا، فقد فكر ان هكذا افضل لك من البقاء في المستشفى، وعليك الاعتراف ان غرفتك فخمة جداً».

بينما كانت الممرضة تتكلم وضعت لها فوطة خمرية.

«والآن، تمتعي بافطارك، وتوقفي عن القلق، اعرف ان هذا مزعج جداً، عدم تذكرك الاسماء والوجوه لاشخاص قريبين جداً منك، ولكن فجأة، تماماً كعدسة الكاميرا، سيفرقع شيء ما في رأسك، وستعودين تماماً كما كنت».

لكني لا اذكر حتى اسمي، لكني متأكدة من انه جاين، بلاين جاين!» قالت نانسي.

ضحكت الممرضة.

«تحيط بك كل هذه الاشياء الجميلة، ورجل سيتزوجك، وتقولين مثل هذا الكلام، في الحقيقة لديك اسم جميل جداً».

«حسناً اريد سماع اسمي المبارك، ولا تختفي قبل ان تخبريني» تلهفت سماع اسمها.

«اسمك نانسي، نانسي رايفورد، والآن سأذهب لاعد لك الحمام، لتكوني جميلة عندما يأتي السيد غارد سانت كلير ليراك».

«سيأتي. الى غرفتي!».

«اجل، فقد رأيته عندما احضرت لك الطعام، واخبرته كم انت احسن اليوم، قال انه سيراك بعد ساعتين، بعد ان يقرأ بريد الصباح».

«آه، يا الهي!» فكرة رؤيته جعلت نانسي تشعر بالاضطراب. لا بد ان هذا هو الرجل الذي احبته. بما انها تلبس خاتمه ومع ذلك فهو غريب بالنسبة لها الآن.

«والآن هيا الى الحمام» قالت الممرضة.

«اجل، لكن دعيني احاول المشي بمفردي» وقفت نانسي، لكن ضعفها ارجحها ببطء، لكن بعد ثوان قليلة استطاعت التوجه نحو الحمام، لكن بمجرد دخولها، اصرت الممرضة على مساعدتها.

بعد خروجها من الماء لفت نفسها بمنشفة منتظرة عودة الممرضة، التي جاءتها بقميص نوم حريري.

«اريد رداءً مناسباً» قالت نانسي.

«لا اريد ان اكون في السرير عندما يأتي ليراني».

«لن يمانع» نظرت اليها الممرضة بفضولية.

«حسناً، لن اجادلك، لكن عليك البقاء في غرفتك والجلوس على الكرسي، فانت لست مؤهلة بعد لتتجولي في المنزل».

«طالما انا مرتدية ملابسي» اخذت نانسي الروب الحريري ووضعته عليها.

«هل نلقي نظرة على الملابس التي في الخزانة».

لم تستطع نانسي اخفاء دهشتها عند رؤيتها لكل تلك الملابس الجميلة الثمينة. وتلك الحقائب والقفازات.

«آه! هل كل هذه لي؟».

«انها بقياسك، يا عزيزتي» قالت الممرضة بدلال، لكن بشيء من الحسد.

«والآن اي ثوب سترتدين، لا، لا يمكنك ارتداء ذلك!».

ابتسمت نانسي، لانها كانت تشير الى فستان وردي خاص بالحفلات.

عضت نانسي شفتيها فجأة. حيث شعرت بالنار تسري في جسدها، حين خطر لها سؤال غريب، هل باعت جسدها بحفنة من الذهب؟ فليس من الممكن لفتاة عاملة ان تمتلك هذه الملابس الثمينة.

«لا بد ان هذه الاشياء هي جهاز العرس لك».

اخذت الممرضة من الخزانة فستان صوف ذهبي.

«والآن. هذا جميل. لما لا ترتدينه لليوم الاول الذي تخرجين فيه من السرير؟ انظري هذا الحذاء يلائمه. انت محظوظة، مع كل الذي لا تذكرينه فهو رجلك الداكن».

«هل هو داكن؟» تكلمت نانسي بهمس.

«من التقليدي في هذه الانحاء ان يكون ملتحي وداكناً».

اقتربت نانسي من الممرضة.

«اجل، هذا الثوب جيد، هيا لنسرع، او انه سيأتي قبل ان اصبح جاهزة».

«هل انت خجلة منه؟» ضحكت الممرضة.

«لقد رآك في سريرك اكثر من مرة، لم يمر يوم دون ان يأتي ليطمئن عليك».

«حسناً» قالت نانسي.

«ستكون مفاجأة بالنسبة له، ان يراني خارج السرير ومرتدية ملابسي، لدي شعور بان الرجال لا يحبون المرضى، وانت قلت

انه ماهر، والماهرين هم غير صبورين».

«انظري يا سيدتي، لقد فقدت بعض الوزن، فهذا الفستان جميل، لكن حزامه واسع عليك فلديك خصر رقيق جداً».

تمنت نانسي لو ان هذه المرأة تتوقف عن الكلام، فهي لطيفة لكنها دائمة الاهتمام.

«لما لا تأخذين فترة للراحة وتشربين القهوة؟». قالت نانسي.

«لقد مللت مني؟ فهذه الاشارة الاولى، التي يجب فيها على الممرضة توضيب امتعتها والرحيل».

«ليس انني غير ممتنة لك» قالت نانسي بندم.

«لكني غير معتادة على كل هذا الاهتمام، على ما اظن، هل تعرفين اي شيء عني، غير انني تعرضت لحادث سيارة وانني مخطوبة لغارد سانت كلير؟ ربما هذا سيساعد ذاكرتي باستعادة بعض الحقائق عن حياتي؟».

«آه، اعتقد انه يجب ترك هذا الامر له، ليخبرك فهو على علاقة وثيقة بالموضوع. فكل ما اعرفه انك فتاته، واذا اراد رجل جعلي سيدة منزل كهذا، لن ازعج نفسي بسؤال الكثير من الاسئلة، فالرجال يحبون الغموض...».

«هل تظنين انني لغز غامض؟ قاطعتها نانسي.

«هل ابدو لك هكذا؟».

«اعتقد ان رجل كهذا سيتزوج فتاة من طبقته، لكن اصبحت الناس في ايامنا هذه ديموقراطية اكثر».

توقفت الممرضة وهي تسرح شعر نانسي ناظرة اليها بالمرآة.

«الآن اصبحت غامضة» قالت نانسي.

www.Rewity.com

«ما هي الظروف التي ستجعل رجل املاك يريد من فتاة مثلي؟ انا لست جميلة، وما اعرفه انني لست شخصاً موهوباً او ممثلة ساحرة... او هل انا كذلك؟» حدقت في مرآتها. هل مر وقت طويل قبل ان تدهسها السيارة وتمحي ذاكرتها. حين مثلت وادعت الحب لهذا الرجل الذي كما عرفت من الممرضة انه صعب المراس ومتطلب؟.

«لن اقول كلمة اخرى» ضحكت الممرضة بعصبية، وساعدت نانسي للوصول الى الكرسي قرب النافذة.

«ابقي هنا، وانظري الى الحديقة ولا تقومي بأية حركة، انت لا تريدين التسبب بطردي، اليس كذلك؟».

ابتسمت نانسي بشحوب.

«انت لطيفة جداً، وانا بالفعل اقدر لك هذا... لماذا لم الاحظ ابداً، ان هذه الغرفة في الطابق الارضي!».

حدقت في المرج الاخضر والحديقة.

«لماذا اتخيل دائماً ان غرف النوم في الطوابق العلوية... ام ان هذه الغرفة حولت خصيصاً من اجلي، عندما كنت غائبة عن الوعي؟ انا... انا لا اذكر حتى كيف احضروني الى هنا!».

«هكذا هي الغيبوبة» قالت الممرضة بلطف.

«هذا الجناح من المنزل حديث ومجدد ولطيف بينما الجناح الغربي قديم ولا يستعمل كثيراً، فهو مخصص تقريباً للسيد غارد سانت كلير حيث يقوم بالكثير من الاعمال».

توقفت قليلاً ثم مشت نحو الباب.

«سأذهب لشرب القهوة مع بعض الكعك، فقد حان وقت قدوم

خطيبك، الى اللقاء!».

الفصل الثالث

اسندت نفسها الى الكرسي، وقلبها يخفق بعنف، وهي تستمع الى خطوات اقدام تقترب من حجرتها.

لكن انقطع نفسها وعلق قلبها في صدرها مختنقاً، عندما وقف امامها ظل رجل طويل، يحدق بها، ويغلق الباب بيده اليسرى.

«صباح الخير، نانسي، علمت انك تشعرين بتحسن اليوم».

تكلم بصوت عميق مطابق لشخصيته، على الرغم من انها أملت ان لا يكون هذا الشخص غارد سانت كلير، الا انه اضاف قائلاً.

«الاحظ انك ما زلت تعانين من فقدان الذاكرة، ولا بد انني ابدو لك كالغريب».

دققت عيناه بوجهها.

«هل اخفتك؟ هل نسيت تماماً انني كنت هكذا، غير قادر على اخذك بين ذراعي؟».

حاولت السيطرة على الرجفة التي سرت في اوصالها، وكذلك محاولة ابعاد نظرها عن الكم الايمن الفارغ، يا له من جسد

قوي، داكن، الذي يجعل الامر مروعاً، في ان يبتر جسده بأي طريقة.

«انت لا تذكريني، ها؟».

كان اسهل ان تدعه يصدق، ان عقلها فارغاً تماماً، لكنها ادركت، ان في مكان ما من عقلها، ما زالت صورته مطبوعة، يتعذر عليها محوها، كل عرق في جسدها تجاوب مع صورته... ما كان مفقوداً هو الاحساس بالحب.

ما شعرت به، عندما تقدم نحوها، كان احساساً بالخوف، جعلها تريد الاختفاء بعيداً عنه.

لكنه بدا، وهو واقف ينظر اليها، وكأنه ينفث ظلالاً على اليوم الذي بدأ سعيداً وآملاً.

«اجلسي وارتاحي» امرها.

«ما زلت تنظرين الي وكأن ريحاً ستقتلعك، هل تناولت افطارك جيداً؟».

«نعم، شكراً لك».

فقد ادركت انها يجب ان تحاول اظهار بعض الامتنان لاهتمامه بها. لكن عضلات جسمها لم تطعها، وكل ما استطاعت فعله هو الجلوس بانذهال، حيث شبكت يديها كمراهقة مضطربة وكأنها تصلي لأن يكون ارتباطها به للزواج غير حقيقي. فهي لم تنفر من شكله، لكن ذلك الظلام الغامض في عينيه الذي ملأها برعب فريد. وكان لديها ذلك الاحساس ايضاً بأنه لم يبتسم منذ زمن بعيد.

«في الوقت الحاضر، قد ابدو لك غريباً، لكن عليك ان

تحاولي وتنادليني غارد» قال بحزم.

«فماذا ستظن الناس اذا بقيت رسمية جداً مع رجل ستتزوجينه؟».

مجرد سماعه، يضع الامر في كلمات، اقحمها في رد سريع.

«هل تهتم، لتفكير الناس؟». سألت.

«لا تبدو لي هكذا!»

رفع أحد حاجبيه السوداء الغليظة، راسماً نظرة متهكمة.

«تبدين وكأنك تعرفيني على الرغم من انك لا تستطيعين تذكري. لا، لا ابالي ابداً، اذا كرهتني الناس وعاملتني كرجل فضائي بدلاً من عاجز، لكن افضل بالطبع فكرة زوج مستقبلي مرغوب وليس وحشاً... اذا كنت لا تمانعين».

«انا... انا لا اعتبرك كوحش» اعترضت.

«اذا بدوت بعيدة عنك فهذا بسبب هذا... هذا الضباب الذي يحتل رأسي. فأنا كالكتاب الذي مزقت بعض صفحاته. فأنا لا ادري من الاشخاص الذين احبهم ومن الذين اكرههم».

«لا بد انه شعور فظيع نانسي».

اومأت برأسها ما الذي اثر بها كثيراً، انه حتى في تهكمه كان عاطفياً وحساساً، لم تستطع ايجاد الحب في نظراته ولا حتى لمحة انفعالية، لكن كان هناك شعور بالامان والطمأنينة جعله يبدو اقوى من كل الرجال الذين يستخدمون كل قواهم الجسدية. شعرت فجأة بالسعادة، انه ليس عدوها.

«هل تجدين هذه الغرفة مريحة؟» نظر حوله.

«انها غرفة جميلة جداً» قالت بتهذيب.

«قالت لي ممرضتي انني في الجناح الحديث من المنزل».

«اجل» جلس على حافة الكرسي الطويل.

«سنسكن هنا بعد زواجنا. انت لا تتذكرين بعد بأنني اعدت تصميمه كهدية زواج، لان الجناح الغربي قديم ومعتم بالنسبة لعروس جديدة، لقد شعرت دائماً، ان هذه الغرف لا تصلح ان تكون مكتبات وغرف ازهار، اما الآن فقد اصبح لدينا جناح كامل لانفسنا متصل بالتراس الذي يلتقط معظم اشعة الشمس، بالتأكيد ليس المنظر درامي، لكن امرأة شابة عصرية تفضل الراحة على المناظر».

«اصحيح هذا؟» نظرت اليه بعمق، لكل كلمة قالها.

«يبدو انني نسيت الكثير من الاشياء» قالت وهي تدرك ان نبرتها دفاعية.

«كم انا غريبة عن نفسي حتى انني لا اعرف كم عمري ومن اين اتيت، سألت الممرضة، لكنها تعتقد انه من الافضل ان اسألك هل انت ملزم؟».

«اود ذلك، نانسي، لكني لا استطيع تحديد عمرك، او حتى مكان اقامتك قبل ان تأتي الي».

«ماذا تعني؟» رفعت اهدابها، وعيناها اظهرت له بعض العداء.

«لماذا لا يمكنك ان تكون صريح معي بدلاً من التلميح طوال الوقت بأنني نوع من تلك المرأة الفاتنة المغوية».

«انت؟» نظر اليها بسخرية، فحتى ذلك الثوب الثمين الذي ترتديه لم يستطع اخفاء افتقادها لتلك الجاذبية، شعرت بتدفق الدم الى وجنتيها، حيث انه لم يحرص ابداً على مشاعرها.

فماذا بحق السماء ربطهما؟ ما الذي حصل شخصين يرتبطان ببعضهما، ومن الواضح انه لا يوجد اي شيء مشترك بينهما؟.

«انت لست كبيرة جداً» قال.

«ما زلت صغيرة كفاية لتخجلي ويحمر وجهك».

«اذاً عليك اخباري من انت، فنحن نبدو كزوجين منسقين... انت صاحب املاك، وابدو انا كنكرة صغيرة».

«حقيقتان غير قابلتان للجدل» مؤيداً لها.

«لكن اؤكد لك انها ليست المرة الاولى في تاريخ القصص العاطفية، ان نكرة تزوجت من.... احساس مالي، بالطبع».

نظر الى كمه الفارغ.

«آمل ان لا يغير رأيك هذا؟ استطيع القول انني عندما عبرت تلك الابواب انك قد نسيت تماماً بأنني ابتر».

جفلت عند سماع الكلمة، لكن عندما نظر اليها، ادركت على الفور انه ظن انها اجفلت من اجله.

«انا آسفة بشأن ذراعك ولا اجدها ابداً لافتة للنظر».

«تماماً، يا نانسي، كما ستعيشين معي، وماذا تودين ان تعرفي عني، بعيداً عن حقيقة انني صاحب املاك، ولدي دم «كورنيش - بريتون» يجري في عروقي؟ كانوا يقولون في الايام الماضية ان الرجل بذلك السن يجب ان يكون قرصاناً».

«في الايام الماضية؟» همهمت.

«انا كنت قائد موسيقي، والآن انا كما يقولون سيد مزارع، مما يعني انني اقرأ الكتب بينما الباقي يحصدون ويزرعون لي، ولدي قطيع مواشي، وننتج معلبات وخضراوات وفواكه، كما ترين بالكاد

قرصاناً».

«منذ متى وانت...؟».

«خمس سنوات، لا اود مناقشة تلك الحقبة من حياتي، لذلك سننتهي من الموضوع الآن وابداً، هل تفهمين؟ حتى عندما تصبحين زوجتي لا اريد الافتراض ان وقتها ممكن ان يصبح موضوع نقاش. فقد حصل قبل ان نلتقي. الرجل الذي كنته حينها والرجل الذي انا الآن، مختلفان كلياً، عن بعضهما، ولديهما هدفان منفصلان في الحياة».

«المعنى» قالت بهدوء.

«انه لا يجب ان احظى بمكان في حياتك السابقة؟».

«اود ان ادخن واجد الامر غير مناسباً في غرفتك، هل تشعرين نفسك جيدة كفاية لتتمشي معي نحو الصالة؟ انها بعيدة قليلاً من هنا».

عندما اومأت بالموافقة، هب واقفاً على قدميه، واسرع نحو الخزانة حيث اخذ منها معطف صوف بلون الكريم ووضعه على كتفيها.

«لن يضيرك ابداً هواء البحر، ولكن لا اريدك ان تصابي بزكام، فعلى كل حال، فقد تم الاعداد لزفافنا، فعندما علمت انك بخير هذا الصباح اتصلت بـ...».

«لكني لا استطيع الزواج من غريب!» قالت بانفعال.

«نحن لسنا غرباء، نانسي» قال ناظراً اليها ببرود.

«انا اؤكد لك اننا نعرف بعضنا جيداً».

«هل نحب بعضنا؟» سألت، حيث التقت عيونهما.

«توجد زيجات عديدة على الارض، لم يكن دافعها الحب المميت. انت تضعين خاتمي نانسي واود لو تحترمين معناه. فأنت لن تنبذيني، اليس كذلك؟».

«كيف يعقل هذا؟ تريدني ان احترم وعداً لا استطيع تذكره او حتى تذكر انني وعدته».

تنشقت الهواء البارد، ذو الرائحة النفاذة وكأنها تنقي ذهنها من الضباب العالق.

«استطيع اشتمام البحر، انها صخرة قوية».

«اجل هذا جزء من ساحل «كورنيش» ممزوجاً بجاذبية المحيط واليابسة، ان المنطقة معزولة بالطبع، لكنك لم تكوني ابداً فتاة حياة راقية».

«لم اكن؟» ابتسمت.

فقد بدا لها غريباً ان يخبرها شخص ماذا تحب وماذا تكره.

«لقد لاحظت وانا اتحدث مع الممرضة، ان لهجتي مختلفة عنها تماماً، كما يعني انني لست فتاة ريفية».

«لقد اتيت من لندن» قال لها وهو يفتح ابواب الصالة الفرنسية.

«لقد اخبرتني انك لست متأكداً من حياتي الماضية».

«لندن، مكان كبير يا نانسي» اخذ معطفها عن كتفيها.

«فنحن لم نتحدث ابداً عن مكان ولادتك بالضبط، لكن اعرف انك قد قضيت جزء من حياتك في مدرسة رهبانية».

«من النوع الخيري؟».

وقفت تحدق به، فقد احست بشعور موحش، بأنه قد اختار نكرة لتصبح زوجته.

«اجلسي» قال لها.

«بامكانك شرب الشاي بينما ادخن انا سيجاري الجهنمي، عليك ان تتعودي على رائحة هذا التبغ» رن جرساً صغيراً بينما كان يتكلم.

حضرت خادمة في زي متناسق، فأمر باحضار الشاي.

«انت تبدين كسمكة تم اصطيادها من حوض مائها الصغير».

«تتطرقك لذكر الدير جعلني ذاهلة وجاحظة العينين من بيتك البحري الكبير، لا استطيع التفكير بشيء مشترك بيننا حتى خاتمك لا يتطابق مع لون عيني، اذا لم تلاحظ انها خضراء».

نظر مباشرة الى عينيها ثم نفث دخان سيكارة.

«اتعترضين على حصولك على خاتم زفير بدلاً من الجاد ليتطابق مع عينيك؟ ذلك الخاتم يساوي مال الشيطان».

«اكره التفكير بأنني كنت مجرد جشعة مرتزقة» قالت.

«انا... انا لا اشعر كمنقبة ذهب، وانا متأكدة اني لا ابدو كواحدة منهم».

«كيف تتخيلين منقبي الذهب اذاً؟».

كانت عيناه تسخران منها.

«ليس من السهل ابداً التفريق بين الاصلي والمزيف، يمكن ان يكون الوجه من اكثر الاقنعة الخادعة، هل تظنين ان الامر يتطلب جمال وشكل مغر؟».

«اذا كان المطلوب رجلاً مثلك».

قالت وهي ترتعد فقد كانت تعلم انه ليس من السهل ابداً مواجهة رجل مثل غارد. ولكنها ارتاحت حين وصلت الخادمة

حاملة صينية الشاي، ووضعتها بحذر على الطاولة.

نانسي سألت غارد بتهذيب، اذا كان يود فنجاناً من الشاي.

«احبذ ذلك» اخذ فنجانه ثم اكمل.

«اود مناقشة موضوع الزفاف».

لقد اصابتها الكلمة في صميم قلبها فاهتزت يدها، واوقعت الشاي من الابريق الفضي.

«هل تريد السكر او الكريم؟» سألت.

«كريم بدون سكر» كانت نبرة صوته جافة كثيراً وكأنه شعر بردة فعلها.

«واريد ايضاً كعكة فطباختي ماهرة جداً، وكعكها مشهور منذ ايام امي، هيا كلي واحدة، عليك ان تستعيدي قوتك ولونك، فانت تبدين الآن كالشبح، هل احتمال زواجك بي، شيء مباغت؟».

«انت مجرد غريب...» احنت رأسها نحو فنجانها.

تدافعت دموع سريعة الى عينيها، لو انها تتجرأ فقد لتسأله هل احبته ابداً.

«ستعتادين علي قريباً وعندما تتزوجيني كل هذه المنطقة ستكون لك لتتقاسميها معي».

«انت تجعل الامر يبدو وكأنني اتزوجك من اجل البيت!».

«بالطبع انت كذلك، نانسي تماماً كما سأتزوجك انا من اجل الحصول على ابن. هكذا كانت الصفقة...».

«لكني لا اذكر شيئاً عن ذلك» قاطعته.

«باستطاعتك اختراع كل كلمة، فكل شيء يبدو غير حقيقياً،

وغريباً بالنسبة لي تماماً كهذه الغرفة التي نجلس فيها. انا اشعر بانني متأكدة من عدم وجودي هنا من قبل؟».

«اشربي الشاي وكلي كعكة ومن ثم يا نانسي، سآخذك الى الجناح الغربي، وستدركين على الفور انك كنت هنا من قبل».

«هل وافقت على الزواج منك في الليلة التي اصبت فيها؟» سألت.

«اجل» اعترف.

«لم يستطع سائق السيارة رؤيتك، وحتى لو فعل، فقد اسرع واختفى وتركك فاقدة الوعي، كانت تمطر بغزارة عندما خرجت من هنا، لذلك ذهب خادمي دوم بسيارتي ليبحث عنك...».

«هل كنت هاربة منك؟» نظرت اليه مباشرة.

«لقد كنت صبيانية بتصرفك» قال وكأن ذلك يشرح لها كل شيء.

«هل تتوقفين عن النظر الي هكذا، وكأنني غول يحتجزك تحت رحمته اذا كنت تريدين التخلي عني، افعلي الآن، اذهبي هذا معطفك وذاك هو الباب، اذهبي مباشرة الى الطريق واتجهي شمالاً لتصلي الى القرية».

«هل تسمح لي بالذهاب؟» سألت بتوتر.

«لا، ايتها الحمقاء الصغيرة، لأن ليس لديك مكان لتذهبي اليه! انت تنتمين الى هنا وكلما تقبلت هذه الحقيقة كلما اصبح الوضع مقبولاً اكثر لكلينا».

لا مكان للذهاب؟ لا تعرف اشخاصاً آخرين؟ لا احد سوى هذا الرجل الذي أمن لها كل هذا المال دون همسة حب او

حنان؟.

«لا استطيع! فأنت مجنون لتتوقع مني ان استمر بهذه المهزلة! ما نوع هذا الزواج؟».

«واحد كالعديد غيره، اتوقع ذلك» خطى نحوها بسرعة وطوقها بذراعه والصق جسدها به.

«لدي ذراع واحدة، لكني لست عاجزاً. نانسي، آخذ واحضن، ولن تؤذي سوى نفسك، اذا استمريت في مقاومتي، لقد تم اعداد الزواج، وسيتم خلال ثلاثة اسابيع.. فقد ارسلت الدعوات الى بعض الاشخاص الذي اود حضورهم، وستأتي امرأة من لندن لتعد لك فستان زفافك، سترتدين الساتان الابيض وستتزوج في الكنيسة مع قرع الاجراس وغناء الكورس».

«هل تتوقع منهم ان يصدقوا اننا متحابان؟» حدقت بوحشية به.

«اود ان اعود الى غرفتي اشعر بارهاق» فقد كانت ترتعد من مجرد احساسها بجسده.

«اذا ضعي ذراعيك حول عنقي».

«لا...».

«افعلي كما اقول نانسي».

للغرابة انها اطاعته، تحسست اصابعها بتوتر دفء عنقه، حيث رأت وجهه ينحني نحوها، ليقبل شفتيها.

حملها بذراعيه القوية الى غرفتها ووضعها على السرير، للحظة التقت نظرات غارد بنظراتها تسيطر عليها، ليدعها تعلم بنظرته تلك. انه ينوي ان يجعلها تطيع وتنفذ كل شيء يقوله.

انقطع الصمت بطرق خفيف على الباب. فدخلت الممرضة.

«لديك اتصال هاتفي من مكان بعيد سيد سانت كلير».

تنقلت عيناها منه الى نانسي التي كانت ما تزال في حال نصف دفاعية على السرير.

«انا آت» مشى غارد نحو الباب حيث بدا قاتماً وهادئاً.

وصل الى الباب فاستدار نحو نانسي بابتسامة.

«ساراك بعد قليل يا عزيزتي، عندما تشعرين بالراحة، ربما سنتعشى سوياً، الى اللقاء الآن».

اغلق الباب خلفه فسرت في اوصال نانسي رجفة، مزيج من الراحة والتعب.

دنت الممرضة منها لتفحص لها نبضات معصمها المتسارعة.

«انت في حالة اثارة يا سيدتي، من الافضل ان تستريحي قليلاً يا عزيزتي».

انتزعت نانسي معصمها من اصابع الممرضة، وكل ما ارادته هو الهروب من هذا البيت وهذا الوضع المستحيل.

«اذا طلبت منك ايتها الممرضة ان تقرضيني بعض المال، هل تفعلين هذا؟».

«قرض يا عزيزتي؟» نظرت الممرضة بدهشة.

«ولماذا تريدين القرض... هدية له؟».

«اجل، ربما».

لكن نانسي كانت تفكر بالهرب منه، لكن طرأ على ذهنها تساؤلات حدت من فكرة الهروب هذه، اين يمكن ان تذهب فهي لا تذكر اي عنوان.

آه، الدير الذي اخبرها غارد عنه، لكنها تحتاج لبطاقة تأمين

حتى تجد الموظفين خاب الامل من جديد، لكن لا بد من وجود طريقة لايجاد ذلك الدير.

«ايتها الممرضة، لا بد انه كان معي حقيبة عندما هربت! اين هي... اين وضعت؟».

«حقاً، آنستي! انت لا تنفعين نفسك بالقلق على تلك الحقيبة، فانه يوجد باوندا وثلاثين بنساً فيها فقط؟».

«اريدها!» اضطربت نانسي.

«ارجوك احضريها لي!».

ذهبت الممرضة الى طاولة الزينة وفتحت الجارور الاول لتحضر لها الحقيبة ثم ناولتها اياها، فافرغت نانسي محتوياتها بسرعة على السرير تحاول ايجاد عنوان او صورة او اي شيء آخر لكنها لم تجد سوى منديل وقطع نقدية صغيرة.

«ماذا كنت تتوقعين ايجاده؟» سألت الممرضة.

نظرت الى الممرضة بعينين مليئتين بالدموع.

«اراهن ايتها الممرضة ان في حقيبتك بعض الصور لعائلتك واصدقائك، وكما ترين، ليس لدي شيء لا رسائل لا عناوين، انا مجرد نكرة ما».

«بذلك الخاتم في يدك؟ في وقت قليل جداً ستصبحين ذا شأن وسيصبح لديك الكثير من الاصدقاء وستكونين علاقات. فتلك كانت ابنة عم السيد سانت كلير على الهاتف... ستيلا ماريك، ممثلة كبيرة، وبشيء من الحظ ستحضر زفافك مع بعض اصدقائها».

لم تستمع نانسي اليها، فقد كانت تحدق بالخاتم في يدها...

فهو يساوي مالاً كثيراً واذا رهنته. لن يصبح الامر كالسرقة، فسترسل بطاقة الى [illegible] ويمكنه استرجاعه، وسيكفيها المال حتى تستعيد ذاكرتها ويبدأ حياة عادية. سيكون الامر افضل من الزواج من رجل لا تحبه ولن يتطلب الامر منها شجاعة كبيرة. فهي لن تتزوجه لان هذه شريرة وشعرت بذلك بكل كيانها.

الفصل الرابع

لقد لاحظت انها لا تملك مفتاحاً في حقيبتها تلك، بما معناه ان ليس لديها منزل.

«سأرتاح لساعة او ساعتين» قالت.

«اريد استعادة قوتي باسرع وقت ممكن».

«بالطبع يا عزيزتي» ابتسمت الممرضة اليها.

«لقد اعطي الطباخ اوامر بالابتداء بتحضير كعكة الزفاف، مما يعني ان السيد سانت كلير مستعجلاً على العرس اقدر انه شعر انه قد صبر طويلاً ليكون عائلة، انه امر مؤسف...».

توقفت قليلاً ثم اكملت.

«فقد كان شكله جميلاً قبل ان يفقد ذراعه، ويقولون ان الجمال لا يحب النقصان، فالجمال يجب ان يتطابق».

«هل تلمحين ان هناك امرأة جميلة تخلت عنه بعد ان فقد ذراعه؟» سألت نانسي.

«انه عمه، كما يقولون، ستيلا ماريك».

كانت الممرضة تحدق بنانسي وكأنها تبحث عن شيء من

الغيرة، لكنها اسندت رأسها الى الوسادة وحملت حقيبتها على وجهها.

«ستيلا... النجمة» تمتمت وكطفلة غريبة الاطوار غرقت في النوم حاملة حقيبتها وكأنها الدرع الواقي، والأمان بالنسبة لها.

بعد اسبوع غادرت الممرضة المنزل، فتنفست نانسي الصعداء، كانت الآن تشعر بتحسن كبير، مع ان عقلها كان ما يزال يرفض اظهار ما يخفيه.

كانت متأكدة انه شيء لا تتمنى تذكره، لانه سيجرحها، وفي كل مرة كانت تأخذ الشاي مع غارد كانت تتوتر عندما تومض في ذهنها الصورة الحقيقية لذلك الوجه الزجاجي القاتم.

في ذلك الوقت جعلت نفسها ملمة بأمور البيت، التقت ببعض الاشخاص الذي يعملون في منطقة المنزل.

كانت تدرك بماذا يفكرون عندما ينظرون اليها فهي اجنبية بينهم، وبالكاد تناسب لان تكون سيدة هذا المنزل الكبير ذا اهمية في محيطه، الخادم دوم، كان لديه اغرب طريقة في النظر اليها.

كأنه ينظر الى قطة ضالة اكثر من زوجة سيده المستقبلية.

«دوم» قالت فجأة.

«لو لم تجدني تلك الليلة لكنت ميتة الآن».

«ربما يا آنسة» قال دون ان يغير ملامح وجهه القاسية، والتي اكتشفت فيما بعد انها ملامح خادعة.

«انا ممتنة لك جداً لخروجك ورائي تحت المطر لتجدني».

«كانت هذه اوامر السيد، ان اذهب وابحث عنك».

«كان هو الذي دفعك للخروج في الظلام والمطر! ولكن

لماذا؟».

«لا اعرف عن ذلك يا آنسة فأنا لست مخولاً لمناقشته».

«ستبقى مخلصاً حتى آخر رمق يا دوم» ابتسمت قليلاً وحدقت بالنار.

«هل انت هنا منذ عدة سنين؟» حدقت نانسي بدوم منتظرة رده.

«انا هنا منذ خمس سنوات، يا آنسة» اجاب.

«اتيت من لندن مع السيد سانت كلير، عندما قرر ان يعيش في الريف في بيت العائلة».

«اذا عملت له من قبل...».

ترددت لكنها ادركت ان عليها انتزاع ما تريد ان تعلمه.

«كنت خادمه الخاص في وقت الحادثة اليس كذلك يا دوم؟».

«اجل يا آنسة» اصبح صوته آلياً فاستدار نحو الباب.

«اذا اردت اي شيء، فأنا هنا».

«دوم» نبرة استعطاف في صوتها.

«اذا رفضتموني جميعكم، لن اتذكر اي تفاصيل، لالتقائي بالسيد سانت كلير، ولماذا هربت منه تلك الليلة، اخبرني هل كنت خائفة منه بسبب بتر ذراعه؟».

استدار الخادم وفي عينيه وميض شفقة.

«لدي اوامر بعدم مناقشة المسألة، كما فهمت يا آنسة، فالموضوع يؤلم السيد سانت كلير فقد كان مشهوراً عالمياً، وقد عاش لعمله وموسيقاه».

«هذا كل ما تجروء على اخباري به؟» تمتمت.

«اجل. آنسة».

احنى رأسه وبد شيء من الخوف يحتلج كرامته الانكليزية

«ذلك كل ما اجروء على قوله. هل تريدين بعض القهوة والبسكويت؟».

«لا... اجل، ربما سآخذ شيء لاسلي وقتي ارى انه قد بدأ رذاذ المطر» حدقت من خلال النوافذ الواسعة.

«هذا بيت كبير ذو طابع مؤثر، دوم لا بد ان الامر يبدو لك كمزحة ان اصبح سيدته؟».

«للسيد سانت كلير اسبابه، استطيع قول هذا فهو انسان ايضاً ليشعر بالوحدة سأرسل اليس إليك بالقهوة، يا آنسة».

خرج دوم من الغرفة، فراقته وهو يغلق الباب خلفه.

بعد قليل دخلت اليس.

«قهوتك، آنسة نانسي وبعض البسكويت الطازج الساخن. فالطباخة تقول انك بحاجة لبعض السمنة».

«لوليمة الزفاف؟» كان على نانسي ان تختلق مزحة من كلامها على الاقل مع اليس، التي كانت تقريباً في مثل سنها.

«لدي شعور يا اليس، بأنني من اولئك الناس الذين يبقون هزيلين طوال حياتهم».

جلست نانسي على مقعد قرب النافذة، حيث وضعت الصينية بجانبها.

«هل رأيت صديقك ليلة امس؟».

«اجل آنسة نانسي» ابتسمت اليس باطمئنان الفتاة الجميلة التي لا تجد اي صعوبة في ان تحب.

www.Rewity.com

«ذهبنا للرقص وارتديت فستان ازرق جديد. وكان هناك فرقة موسيقى بوب جيدة...».

«ماذا؟» قاطعتها نانسي.

«ما هذا فرقة بوب؟».

«الا تعرفين يا آنسة؟» نظرت اليها أليس بتعجب.

«هي مجموعة شبان يعزفون ويغنون احدث الاغاني والحان سأدير لك الراديو، لتعرفي عن ماذا اتكلم».

خطت اليس نحو الطاولة قرب المدفأة حيث وضع جهاز التلفزيون والراديو، فادارت لها الراديو على عدة انواع من الموسيقى، استدارت أليس نحوها بابتسامة، تجمدت على وجهها حيث فوجئت بدخول غارد سانت كلير الى الغرفة.

«ما هذا!» استعلم.

«ما هذا الهراء البربري الذي تستمعين اليه يا نانسي؟ اطفئيه حالاً يا أليس!».

«حاضر سيدي» اطاعته الخادمة وهرعت خارج الغرفة.

«يا له من تنافر للنغمات» حدق غارد بنانسي.

«هل كانت تلك فكرتك عن الموسيقى؟ اذا كنت فتاتي، سيكون عليك تغيير ذوقك لاني لن اسمح بهذا الانقضاض على طبلة اذني ورقة الشعور، في بيتي».

«كانت أليس تحاول شرح موسيقى البوب لي، وظنت انني لو سمعتها...» توقفت نانسي لانها اضطرت للضحك على ذلك الغضب الظاهر على وجه غارد.

«انا آسفة، اعني انك معجب فقط بالموسيقى الراقية، ويجب

ان اعترف، انني لم اهتم لذلك التدمير الصوتي».

«كان يجب ان ادرك ذلك!» جلس غارد على الكنبة فوصلت يده اليسرى الى الصينية الموضوعة على الطاولة.

«اذا كانت هذه قهوة فسأشرب معك فنجاناً».

«نعم، انها ظازجة، لقد انقضيت على حنجرة تلك الفتاة المسكينة» قالت نانسي وهي تصب له القهوة وناولته الفنجان ثم نظرت الى صورة معلقة على الحائط وهي ترشف قهوتها.

«لقد نسيت كم انت صغيرة، ويجب ان يكون لديك اصدقاء من سنك لتتحدثي معهم. ستصل ابنة عمي هذا المساء وستحضر معها سكرتيرتها الصغيرة وايضاً سيأتي معها شاب يكتب مسرحيات، سيكون لدينا زوار يا نانسي، واريدك ان تبدي وكأنك متشوقة لتصبحي زوجتي».

«انت تعني» التقت عيناها الخضراوان بعيناه.

«يجب على ان ابرهن لابنة عمك ستيلا، انها ليست حب حياتك العظيم؟ هل ترى، انا لست جاهلة كلياً لاسبابك في الزواج مني، يا غارد».

«يبدو كذلك، اذاً كنت تستمعين لاحاديث الخدم او بالاحرى لتلك الممرضة الفضولية وابتدعت نظرية رومنطيقية خاصة بك، اليس كذلك؟ تظنين اني اتزوج اي كان فقط لاغيظ ستيلا؟ ستمتعها الفكرة اذا خطرت ببالها، اشك انها ستشعر بالغرور».

«تعني انها جميلة وانا قبيحة» قذفت الكلام بوجهه.

«قبيحة متكلمة، على الاقل» تمتم وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه.

«هل تحاولين انتزاع مجاملة يا عزيزتي؟، حسناً لا تحاولي كثيراً فعيناك خضراوان لا تفتقدان للجمال، وانت شابة، وعفيفة كذلك الدير الذي اتيت منه، اذا تصورت ان هذه الاشياء ليست مثيرة بالنسبة للرجل، اذاً دعيني اؤكد لك انها مثيرة، على فكرة، فأنا عمري ستة وثلاثون سنة، ولا يمكنني الادعاء بأنني طاهر، ولكن كل ذلك مضى وستساعديني على دفنه».

«تعني ستيلا، مهنتك، والسفر حول العالم؟».

«اعني بالضبط كل هذه الامور يا نانسي، لقد ولت الحياة الماضية تماماً كذراعي، ومعك سأبتدىء حياة مختلفة».

«انت لا تحبني» قالت بهدوء.

«انا، لا استطيع نسيان ذلك، حتى لو نسيت اشياء اخرى، على الاقل قلبي لن ينسى، اريد ان اعرف لماذا هربت منك تلك الليلة!».

«تشاجرنا، يا عزيزتي، لقد حطمت تمثال ثمين في مكتبي، وقلت لك ان لا تتصرفي كطفلة، وعلى كل حال اين ستذهبين ماذا لديك اذا لم تتزوجيني؟ انا كل ما لديك، حقاً».

«حقاً؟» رددت كلمته.

«انت قلت اذا... آه، لا ادري وكأن هناك شخص ما تحكم عليه بالتفاهة والضآلة. لو انه يوجد شخص ما لن تملك الحق حينها في احتجازي هكذا في الظلمة».

«كوني خطيبك، لدي بعض الحقوق وانوي اقتراحها عليك».

حمل فنجانه لاعادة ملئه وكأن هذه الحركة تحمل اكثر من

معنى للسيطرة.

«اهتماماتك اصبحت من حقي عندما اصبح خاتمي لك، هل تفهمين يا نانسي؟».

«واضح جداً يا غارد، يبدو وكأنك تفرض علي شروطك، فلقد سبق وقلت انني يجب ان احب نوع الموسيقى الذي تحبه، واعتقد ان هذا سيكون على كل شيء، يجب ان ادعك تملي علي ما تريده، والا!».

«اجل، انوي توجيه ذوقك في قضايا معينة، لكن لن اقفل ذهنك في مواضيع اخرى، فأنا لست سادياً، يا نانسي، لذلك لا تنظري الي كالشهيدة، لا اكف عن التساؤل اذا كان لنشوءك بين اولئك النساء القديسات قد اعطاك فكرة على ان الزواج نوع من التعذيب، ان يتحمل كشجر الزعرور، وليس كنوع من التقبيل. آمل ان تكوني عارفة بأمور الحياة، او يجب ان اعلمها لك، كما اعلمك الموسيقى والفن؟».

ارتجفت نانسي، عندما رأته ينظر اليها من قدميها الى شفتيها... لو احبته لكانت اعطته كل شيء قلبها، شبابها وارادتها للتعلم منه لكنها شعرت بالخوف من نظراته اليها.

فجأة ضحك، بصوت عميق ساخر لذلك الوميض الرافض في عينيها.

«ارتاحي، يا ساحرتي الصغيرة، لا انوي ابداً ان اجعلك تكرهيني حتى لو وجدت حبك لي مستحيلاً، فأي نوع من الزواج سيكون اذا لم احظ حتى على تسامحك الديني؟».

احست من كلماته انها نوع فريد من النساء مختلف عن الذين عرفهم، لانها آتية من دير، وبالتأكيد سيعجبه.

انه الرجل الوحيد الذي اقترب منها، وفكرت عندما نظرت الى شفتيه، هل قبلها ابداً؟ مع انها لم تتذكر إلا انها احست بل تأكدت انها لم تستسلم له ابداً.

«لماذا تنظرين الي هكذا؟» سأل بفضولية.

«بماذا تفكرين انني اكبر منك، ولست رومنطيقياً، كما تحبين ان اكون؟».

«عيناك... عيناك مستبدة، كان لديك دائماً طريقتك الخاصة، اليس كذلك؟ طوال حياتك انت لا تحب ان تخذل».

«أوه تنوين ان تخذليني؟» فجأة وتماماً كما تخيلته، امسكها بكل قوة يده اليسرى، وكأنها غير بشرية، سحبها نحوه بقسوة الى الكنبة حيث يجلس وقعت بين ركبيته، وحتى تثبت نفسها تشبثت بكتفه الايمن.

حيث تحسست برعب فراغ كمه المعلق بدبابيس. شهقت وبقي الرعب معلقاً في عينيها اللتان نظرتا الى وجهه، ثم وكأنه اراد ان يمحي تلك النظرة احنى رأسه واطبق بفمه على فمها بجمود، بدون رقة او حنان وحتى بدون جوع للرغبة.

فقد كان عقاباً اكثر منه شهوة، لكنها على الرغم من انها تقاومه لم تشعر ابداً بهذه الحياة في عروقها من قبل لم تعرف لم يعلمها احد ان ذلك الشعور يمكن ان يكون صارخاً، مطالباً، يجتاح النفس ومدمراً لها.

«لا تفعل...» انسلت من بين شفتيه ودفنت وجهها في كتفه.

«لا ليس هكذا!».

«كيف يا عزيزتي؟» كانت ضحكته تدغدغ عنقها.

«التقبيل على المرافق هذه عادة قديمة تحصل فقط في الكتب، ويجب ان تعتادي علي، وانا لست سيئاً كجرعة دواء من طبيب اليس كذلك؟ هل انت طفلة حتى يجب ان تتقبليني مع رجفة رعب؟».

«لو كنت اعرفك اكثر...» سرت مرة ثانية رعشة هزتها، واحست ضغط اصابعه على خصرها.

«هناك اشياء مروعة للفتاة» قال.

«الواقع شيء رائع بالنسبة للرجل، وهو الحقيقة العارية، يا عزيزتي، يجب ان تتعلمي امور عن الحياة عاجلاً ام آجلاً، ومن الافضل ان تتعلميها معي بدلاً من شاب موظف او طالب يستطيع تقديم غرفة مستأجرة وحمام تتشاركين به مع عدة اشخاص صدقيني انا فخور بطهارتك هذه، فقد خططت لتعليمك ركوب الخيل، واريد ان يرسمك بارت سيبرمان، فنان بدائي يستطيع التقاط تلك النظرات البريئة المتوحشة في عينيك الخضراوين، سأجعلك اكثر امرأة محسودة في الريف الغربي، ولن يأسف احد لكونك متزوجة من ثلاثة ارباع رجل!».

ابعدها عنه ووقف قرب النافذة.

«هل تعرفين يا تانسي من فكرة رؤيتي بدون كنزة او جاكيت لاخفاء كتفي المبتورة؟».

تأرجحت قدماه نحو النافذة.

«ستصل ستيلا مع طاقمها هذا المساء، لقد عرفت انهم سيأتون

براً من لندن. لن يكون هناك داعي لانتظارهم في المحطة ستجهز السيدة والكر غرفهم، لذا كل ما عليك فعله هو ارتداء ثوب جميل وتحاولي ان تبدين، كما خططت للزواج منك، وليس لاكلك هل تسمعين؟».

«نعم، غارد لست صماء، ربما تحب ان تختار لي الثوب الذي سأرتديه الذي سيؤثر على ابنة عمك لتصدق انك تهتم بنكرة دميمة لا تعرف شيئاً عن عالمك».

«ستيلا تملك مخيلة واسعة، وستدرك ان اللاعالم لديك هو الذين يثير اهتمامي وربما سأقبل دعوتك بان اختار لك ثوباً... كيف تشعر نكرة عند امتلاك خزانة فيها ملابس للنهار والليل؟».

«منحطة» قالت.

«بغض النظر عن كرمك في احضارهم».

«هذا جهازك، يا طفلتي، ولا تتلفظي بكلام بلا معنى».

نظر اليها بشيطانية.

«يحب الرجل ان تكون زوجته المستقبلية رقيقة ولطيفة، ولا تدعي انه ليس بشعور جيد ارتداء ملابس جميلة بعد تلك الثياب البالية التي نزعوها عنك في المستشفى. لقد حرقتهم وابدلت كل قطعة منهم، بأفضل ثياب من افخم محلات في لندن. فتاة من نوع جيد كانت شكرتني».

«شكراً لك» قالت بفظاظة.

«لا يستطيع الناس عمل شيء حيال فقرهم، فهذا ليس عاراً».

«ستفضلين ان تكوني انيقة عندما تأتي ستيلا لتراك». ساخراً.

«فابنة عمي ذات سحر وشعوذة لا ترتدي سوى الفرو، ويجب

ان تبدي جيدة الليلة، او مزقت لك تلك البراءة الموجودة فيك!».

تركها مع هذه الكلمات مرتجفة، ركعت امام المدفأة تحدق بألسنة اللهب. تفكر بيوم مشمس يخرج فيه غارد من البيت، فتستطيع الهروب دون ان يستطيع اللحاق بها، آه، كم تكره الايام الممطرة التي تبقيها سجينة هنا.

سمعت الباب يفتح، كانت أليس بينما تحمل صينية القهوة وجهت نظرة استجوابية نحو نانسي.

«لا موسيقى حديثة بعد الآن يا أليس».

قالت نانسي بخفة، حتى لا يبدو الامر وكأنها اخذت موقفاً ضد غارد.

«فالسيد سانت كلير معجب بالموسيقى الراقية، ولا يهتم لكل تلك الضجة، هل هي حقاً شعبية؟».

«بين الشباب، آنسة نانسي».

قالت أليس وهي تخرج من الغرفة.

كم يبدو غريباً ان منزلاً كبيراً كهذا موجهاً بكل تفاصيله الى ما يريد ويرغب رجل واحد.

فجأة سمعت صوت ضحكات رجل، فادركت انه براون يغازل أليس.

كيف يشعر الانسان بذلك، تساءلت نانسي عن الشعور ان يغازلها ويعجب بها شاب؟.

جلست امام المرآة تتأمل نفسها، تفكر كيف ان غارد يتوقع منها ان تمثل امام ابنة عمه الجميلة، فقد امرها ان تكون لطيفة وتدعي انها مغرمة به.

كيف ستفعل هذا، ترمي نفسها بين ذراعيه؟ ماذا ارادها ان تفعل، بل هو ماذا يريد درعاً شاباً واقياً من المرأة التي ارادت قائداً موسيقياً قوياً، وليس رجل بذراع واحدة؟.

الفصل الخامس

لقد بدا تعيساً عندما سألها. اذا كانت تجده مقززاً للنفس، اذا لم يغط ذراعه وكأنه يحكم على النساء من خلال ابنة عمه. فهو لم يستطع نسيان خذل ابنة عمه له، او الغفران لذلك.

فلقد اطلق على نفسه ثلاثة ارباع رجل، واراد ان يظهر لستيلا المتعجرفة ان هناك فتاة اخرى اكثر شباباً وجدته مرغوباً وقوياً بغض النظر عن نقصانه، الذي رفضته ستيلا.

تنهدت نانسي وشعرت ان كل هذه الدوامة جعلت رأسها يدور.

تجولت نانسي في المنزل، فذهبت الى الجناح الجنوبي من المنزل، لتستكشفه، كانت صدمة جميلة استكشاف وجود مثل هذه الغرف في المنزل.

اسرتها لدرجة انها لا تستطيع بل من المستحيل تصديق كذبة غارد، انها صنعت خصيصاً لها... فمثل هذه التصميمات لن تصنع ابداً لنكرة مثلها. بل صممت لاظهار جمال امرأة... امرأة مسرحية، ذات نظرات درامية، كتلك الازهار الارجوانية، وتلك

الستائر الحريرية بلون الازرق، والا شر كالزفير في نانسي.

هذا الخاتم وهذه الغرف هي لستيلا، خلفية رائعة لجمالها، رفضته، وربما يجب ان ترفضهم نانسي ايضاً.

فهي لم يحبها احد قط، وعلى الرغم من كل هذا الجمال الفاتن امامها فلن يغويها للوقوع في زواج بلا حب.

هبت رياح في الغرفة محركة الثريات فوق رأسها كضحكة ساخرة لشبح.

شبكت نانسي ايديها، مخبئة الخاتم بين اصابعها لكن ستيلا ليست شبحاً... هي حية كثيراً وبعد ساعات قليلة ستكون هنا في هذا المنزل.

لم تأخذ نانسي على محمل الجد ملاحظته غارد بأنه سيختار لها الفستان الذي سترتديه في اول لقاء لها بستيلا، كانت تقف في حجرتها، عارية القدمين امام الخزانة وشعرها مرفوع بعد غسله، عندما دخل هو الى الغرفة.

اجفلت وتراجعت الى الوراء، وهي تنظر الى جاكيتته القصيرة، وقميصه الحريري وبنطلونه الاسود، المناسبين للعشاء والذين جعلوه يبدو طويلاً اكثر.

«ماذا تريد؟».

تمسكت بروبها حيث شعرت انها عارية تماماً امام نظرات غارد.

تقدم نحوها.

«يا عزيزتي انت دعوتني الى هنا لخدمتك هل تتخيلين انني سأترك هذه المتعة وارسل اليك أليس؟».

تقدم نحو الخزانة يقلب الفساتين حتى انتقى لها فستاناً ليلكي اللون بسيط وناعم مع حذاء من نفس اللون.

«هذا هو» قال وهو يناولها الفستان.

اخذته مكرهة.

«مزيج لون عينيك الاخضر، وبشرتك البيضاء مع هذا الحرير البنفسجي سيخلقون ابداعاً رائعاً يا نانسي».

«انت شيطان دكتاتوري، لا احب هذا الثوب انه ليس النوع المناسب لي».

«ماذا تعرفين عن ذلك؟» قال بتهكم.

«لقد فصلته ايادٍ محترفة، ولديك الشكل المناسب له، وستبدين اكثر من ساحرة وانت ترتدينه، ماذا عن الماكياج؟ هل ارسلوا بعضاً منه مع الثياب؟ لقد اخبرت المتجر اننا بحاجة لكل ما تحتاجه شابة بعيدة عن لندن».

«انا لا اضع مساحيق على وجهي فانا لست ممثلة اتذكر؟».

«انت وقحة الآن، بسبب عصبيتك» سار نحو طاولة الزينة وفتح عدة جوارير، ادركت نانسي انه سيجد علبة المساحيق، لكنها لا تعرف كيف تستعمل اي منها. لكنها شعرت بامتعاض لأن غارد بدا وكأنه يريد ان يصنع منها بديلاً عن ستيلا الفاتنة.

«اتصور انك جاهلة تماماً في المساحيق» قال.

«كل ما تحتاجينه هو بعض بودرة الوجه مع احمر الشفاه، ولمسة من ظلال العيون، وبالطبع ستتدبرين امرك دون ان تبدين كالمهرج».

«هل يهم، يا غارد؟» سألت وهي تحدق بوجهه.

«ابنة عمك هي امرأة مشهورة ولن تنخدع بالتفكير بانك مغرم بي».

«ما الذي يجعلك متأكدة، انني لست مغرماً بك، نانسي؟».

نبرة صوته ساخرة، لكنه نظر اليها بكسل.

«فقدانك للذاكرة قد اغلق الابواب على عدة ذكريات، وانا بالكاد سأتزوجك، لو لم تظهري لي رغبة تجاه عواطفي».

«تلك العواطف التي جرحتها ستيلا؟» سألت.

«عواطف مستهلكة، غارد، جيدة كفاية لكرة اعتادت على الخذلان دائماً».

«انت قلتيها يا عزيزتي ولست انا» كان انسحابه مهيناً اكثر مما استطاعت تحمله.

«ساكون بانتظارك في غرفة الجلوس، ولا تنسي لمسة الماكياج، فالمرأة تبدو عارية بدونه على العشاء» خرج من الغرفة نحو القاعة.

رمت الفستان البنفسجي من يدها، والتمرد يحرق عينيها. وانتقت لنفسها ثوباً ابيض اللون، مع حذاء فضي.

جهزت بعد خمسة عشر دقيقة، وشعرها مسرح بنعومة، ولم تحتج ابداً الى اي من تلك المساحيق لاخفاء النضارة على وجهها.

وقفت على مدخل غرفة الجلوس، فرفع نظره اليها بعد ان بدا وكأنه بعيداً من هنا آلاف الاميال.

التقت نظراتهما بصمت لدقائق، ثم ضحك بعمق.

«انت على حق نانسي» قال، ناهضاً على قدميه.

«انت تعرفين النوع الذي يناسبك تماماً».

اتكأت على الباب براحة.

«لا استطيع الادعاء انني متطورة غارد».

«لا يبدو كذلك».

اقترب منها، ولمس شعرها متحسساً نعومته، تحولت نظراته الى عنقها.

«لدي شيئاً اعطيه لك... شيء صغير متوارث في العائلة ولا يجب ان ترفضيه».

اخرج من جيبه سلسلة معلقاً فيها لؤلؤة واحدة.

«يجب ان تضعيها انت، نانسي. فأنا لا استطيع ذلك».

وضعها في يدها.

«اعرف ان هناك اساطير عن اللآلىء، لكنها قطرة دمع واحدة».

بعد ان وضعته على عنقها، تحسست لمسات الذهب على بشرتها.

«والآن، دعيني ألقي نظرة عليك».

تراجع قليلاً الى الوراء ليلقي نظرة شاملة عليها من حذائها الفضي الى عينيها الواسعتين.

«انت تستحقين الارتداء نانسي، كما يقولون، تحول كبير من طفلة شاردة الى زوجة مستقبلية، والآن هل نذهب ونلقي التحية على ستيلا؟».

«اذا كان يجب ذلك» قالت.

شعرت بقرصة اصابعه وهو يقودها الى القاعة الكبيرة، حيث

كانت الثريات مضاءة اجتازوا غرفة الرسم حيث توقف للحظة ليعطيها نظرة منذرة.

«لا تقلق يا غارد» لمست اللؤلؤة حول عنقها.

«سأحاول ان لا اخذلك، لكنه من السخرية قليلاً، ان تلتقي زوجتك المستقبلية بحبك القديم، لماذا، تبدو كالمسرحية، بطلتها نجمة كبيرة، وفتاة عصبية ساذجة، دون ذكر البطل الوسيم القاتم».

كانت نظراته فضولية وهو يستمع الى كلماتها.

«بالنسبة لفتاة دير يبدو انك استوعبت بعض الحقائق والخيالات الغريبة».

«لا تنسى يا غارد، ان الغرفة التي اشغلها، مخزنة بالكتب ولقد اكتشفت انني احب القراءة في السرير، لقد قرأت مؤخراً عن حياة الممثلين حتى لا اظهر كجاهلة امام ستيلا ماريك».

«عالم المسرحيين يا طفلتي هو عالم رومنطيقي خليع، فهم يمثلون اسخف الاحداث، وهم فاسقين حسودين ومأسورين تقريباً».

فتح الباب وهو يتكلم وقبل دخول نانسي الى الغرفة الملكية الزرقاء، سمعت صوت امرأة وسمعت بوضوح ما كانت تقول.

«اعرف انك تعتقدني بغيضة يا بيار، لاني اثرثر مع الخدم، لكني انتزع منهم معلومات مفيدة. فقد عرفت ان الفتاة بريئة تماماً وانها لم تعش ابداً في منزل كهذا او عرفت ما معنى ان تكون سيدة. فقد زحفت الى هنا، وبطريقة ما وضعت خاتماً في اصبعها، فإذا كان ينوي الزواج منها، فهو يفعل هذا

استياءاً...».

هنا توقف صوت المرأة ذات المخمل الزفيري، بكتفيها العاريتين، وقفت لثوان محدقة بالرجل الذي في مواجهتها، وجهه الوسيم تأخر كثيراً في اعطاء الانذار لها، وثم بكل ما اوتيت من قوة تمثيل استدارت نحو غارد سانت كلير، بثوبها الازرق، وحدقت به بعينين تماماً كلون ثوبها.

«اعزائي، قد سمعتم لتوكم، تمرين على مسرحية بيار الجديدة، انت تعرفون نوع الناس الذي نحن منه، نحمل عملنا معنا اينما نذهب، غارد يا عزيزي كيف حالك؟ لقد انتظرت بفارغ الصبر رؤيتك».

تقدمت نحوه، وشفتيها الارجوانيتين تنتظران قبلته.

«كيف حالك ستيلا؟».

اخذ يدها بتهذيب وقبلها من شفتيها المنتظرة.

«انا آسف، اذا لم استقبلك لكن كان علي انهاء بعض الاعمال في احد المزارع، آمل ان تكون السيدة والكر قد جعلتك ترتاحين؟».

«غارد يا عزيزي، كم تبدو رسمياً! لا تنسى انني ترعرعت في هذا المنزل واكره ان تعاملني كأي ضيف غريب».

ومضت عيناها حين نظرت الى نانسي وابتسمت.

«اذاً هل هذه الفتاة الصغيرة هي فتاتك؟ كلها بالابيض... كم هذا جميل! ليس هناك افضل من التمرين امام الاداء الفعلي».

«اجل، ستيلا، هذه خطيبتي» قال.

«نانسي اقدم لك صديقتي الآنسة ماريك التي افسدها اعجاب

الجماهير بها، الى حد انها صدقت انها باستطاعتها قول وفعل ما تريد... دون تقدير، لا تسمحي لها ان ترعبك».

«حقاً، غارد!» نظرت اليه ستيلا بعتب.

«تجعلني ابدو كامرأة سليطة، وستجعل هذه الطفلة تأخذ موقفاً دفاعياً مني وانا آمل ان نصبح صديقتين، نانسي! اسمك جميل، هل انت ابتدعته؟».

«لا، آنسة ماريك» التفت نانسي بالعينين التي تطابق خاتمها الزفير الازرق.

«إلا اذا ابتدعوه لي، فأنا اتوقع انك تعرفين اني فاقدة الذاكرة ولا استطيع تذكر الماضي، لا بد ان غارد اخبرك هذا عندما كلمك على التلفون».

«غارد، يا عزيزتي بالكاد اخبرني انه سيتزوج، وانني سأهتم لارى زوجته المستقبلية».

اخذت عيناها بالاحتداد حتى بدت كالجواهر الزرقاء، في وجه مليء بالانفعالات غير الظاهرة، فهي ممثلة وتستطيع اخفاء مشاعر كرهها للعروس ومشاعر حبها الخامد للرجل الذي جرحته، والذي يثار منها بطريقة قديمة لكنها فعالة.

«يبدو ان فقدان الذاكرة مريح جداً وملائم».

ابتسامة ستيلا ساحرة جداً.

«تعال، يا بيار لاعرفك على هذه الفتاة الغير عادية، التي ترتدي ما ترتديه الفتيات عادة ولديهم حجاب رائع على ذهنهم، سأجعل بيار يكتب لي مسرحية عن هذا الموضوع».

«تشرفت بمعرفتك».

صوته ولهجته جذابة جدا، وعاملها بطريقة مختلفة عن غارد، الذي يبدو دائماً وكأنه يعلمها عدم الخطأ في الارتداء والاقوال.

توقفت نظرات بيار دومونت قليلاً على فمها، وكأن شكل شفتيها النضرتين هو اهم ما ترتديه.

كان هو الذي اخذها الى العشاء بينما ذهبت ستيلا مع غارد، وكأنها تحاول استعادة قلبه دون اخذ خطيبته على محمل الجد.

«هل مسموح لك بشرب الخمر؟».

قالت بينما وقف دوم قرب الطاولة يصب النبيذ الذهبي بعد ان نال رضا غارد.

«لا تكوني طفولية يا ستيلا» قال بيار.

«فنانسي ليست طفلة وانت تعلمين هذا».

«ثق برجل فرنسي بعد ان ترى خباياه».

قالت ستيلا بخبث. والابتسامة التي اعطتها لغارد كانت مليئة بالاسرار.

«هل تذكر حفلتي، عندما شربنا زجاجة شمبانيا وترنحنا سكارى على الشاطىء؟ كان الجميع يبحث عنا ونحن نفعل ما يحلو لناضجين ان يفعلوه، بالطبع، في هذا العمر الفتيات لا ينتظرن مفتاح الباب... كم هي لذيذة! هذا طبقي المفضل، وانت تعلم هذا يا غارد، انني لا افقد رغبتي فيما احب».

«هناك موضوعان» قال بيار.

«تتناقش ستيلا فيهما على الاقل مرتين في اليوم واحد منهم المسرح، وكيف هي ملكته، والثاني وحشية ورائعة الحب».

رفع كأس النبيذ نحو ستيلا.

«بصحتك وسعادتك لتكوني نجمة دائمة في مسرحياتي، لكن ليس في حب حياتي ابداً».

«توحش فرنسي، الحب بالنسبة لك كالنحلة والزهرة فأنت تتذوق العسل دون ان تلدغ نفسك، في يوم من الايام يا عزيزي ستقع في الغرام، وربما ستكتب لي ساعتها شيئاً اكثر ملاءمة من مسرحياتك الكوميدية المليئة بالاخطاء».

«مؤثر» ضحك وبدا وكأنه غير مهتماً لحديثها الجارح، غمز نانسي ثم نظر الى غارد.

«بعد هذا العشاء الممتاز يا سيدي، هل تسمح لي ان اخذ خطيبتك لتريني الحديقة في شعاع القمر؟ لقد سمعت الكثير عن هذه المنطقة، وككاتب اتمنى ان احظى ببعض سحرها».

«بالطبع، يمكنني السماح لها ان تريك ما تريد» قال غارد بتهذيب.

«لكن تذكر انها ليست من عالمك وانها عاشت حياة مغلقة قبل ان آخذها».

«عزيزي» ضحكت ستيلا.

«انت تبدو كحارسها اكثر من حبيبها! نانسي احذري من بيار، لقد غازل سكرتيرتي وجعل المسكينة تعيسة جداً حتى انها رفضت المجيء بهذه الرحلة، الفتيات الشابات لا يريدون التصديق انه عازب فنان في اقامة العلاقات وعندما يعلمن الحقيقة، تأتي الدموع والتجهم. فكر ثانية يا غارد قبل ان تدفع بهذه الطفلة بين مخالبه».

«حسناً ايها السيد».

نظر غارد مباشرة نحو بيار، مما جعل نانسي ترتجف من تلك النظرة.

«هل علي ان افكر مرتين، قبل ان اتمنك على نانسي؟ نحن هنا في كورنويل مازلن بدائيين قليلاً في تعاملنا، ونساءنا مقدسات، ربما سأقتل الرجل الذي سينتزع البراءة من تلك العينين الخضراوين».

«آه، لا...» ضحك بيار وكأنه غير مصدق.

«هل تعني ذلك،؟» تساءل.

«كل كلمة» قال غارد بهدوء.

«جيد» قال بيار بمزاح، ولكن بتقبل رجل لآخر يعي ما يقوله.

«اعتقد ان هذا الجزء من انكلترا يحمل عناصر مفاجئة، على الاقل ذلك الحب الاولي ما زال موجوداً».

«ويجب حمايته» تمتم غارد ماسحاً شفتيه بالمنديل ناظراً الى نانسي.

«مع اننا غير متصلين بانكلترا، كورنويل هي منطقة قائمة بنفسها، مستقلة هنا لدينا رمال متحركة بلون الذهب، مخيفة جداً بالنسبة للغرباء وكانت القوانين تحرم وطيء هذه الاراضي».

«غارد!» كان هناك مصدر اغاظة في صوت ستيلا.

«انت لم تتكلم ابداً عن الايام القديمة، ما الذي حصل؟».

«الايام القديمة ولت يا ستيلا، رجل بيد واحدة، لا يستطيع قيادة سمفونيات الآن، لكن بمساعدة بعض رعاة البقر ومجموعة تراكتورات يستطيع ادارة مزارع، ربما هي ليست اعمال رومنطيقية في نظرك يا عزيزتي، لكنها تناسبني».

www.liilas.com

«انت؟ لا تستطيع خداعي ابداً يا عزيزي، حتى لو انك لا تستطيع ادارة موسيقى، يمكنك تأليفها، لماذا لا تهتم بها اكثر؟ لماذا دفنت نفسك هنا؟».

«ايام روائعي قد ذهبت» تحشرج صوته.

«لهذا انت مدعوة للغابات لتتعرفي على زوجتي المستقبلية، انها ليست دعابة يا ستيلا، وستتزوج انا ونانسي في خلال اسبوعين».

ارادت نانسي ان تنزع الخاتم من يدها، لتنهي هذا الخطأ، فذلك الحب ظاهر بين غارد وابنة عمه، حب غريب من نوعه وكأنه حرب متبادلة.

عند انتهاء العشاء، ذهبوا الى غرفة الرسم ليشربوا قهوتهم، كانت قهوة سوداء فانتقى دوم لهم زجاجة براندي ليفتحوا قهوتهم.

«نابليون» اخبر غارد بيار.

«بالتأكيد ستحبها».

«بلا شك، كان البريطانيون يحبون دائماً السرقة من عندنا، كما نحن ماهرين في السرقة منهم».

«انا لا انصحك ان تكون ماهراً».

سكب دوم لهم البراندي فوق القهوة وخرج من الغرفة فضحكت ستيلا ضحكة خافتة.

«رجلك دوم هذا كنز بحق يا غارد، فهو خلاصة لجميع الخدام، حيث لا تستطيع النقاش في مسألة اخلاصهم لسيدهم. هو لا يفعل الكثير لك اليس كذلك؟».

«كان معي منذ فترة طويلة ونحن معتادان على بعضنا».

«هو يدك اليمنى يا غارد».

قالت ستيلا بإجحاف وابقت نظرها معلقاً على وجهه، لكنه لم يفقد السيطرة ابداً على اعصابه، فوقف حاملاً قهوته جاعلاً ستيلا تنظر الى كمه الايمن الفارغ مباشرة، المعلق بترتيب بيد دوم.

«آمل ان تكوني قد جلبت عدة الركوب معك يا ستيلا». قال.

«لدي صديق يملك اسطبلات قريبة، لديه حيوانات رائعة للايجار، انت مولعة بركوب الخيل واقوم بها احياناً للتمارين... تفاجأت اني ما زلت اركب الخيل؟ يا عزيزتي انا لست عاجزاً لدرجة اني لا استطيع تدبر امر حصان».

«ماذا عن امرأة؟».

كان هناك لمحات ساخرة على فمها.

«من الافضل ان تسألي نانسي هذا السؤال؟». قال غارد.

ومضت عيناها الزرقاوان باتجاه نانسي التي تمنت ان لا يستعملها كسلاح ضد ستيلا.

«لا استطيع تصور هذه المترهبنة الصغيرة صعبة التدبير يا غارد، فإنها بالتأكيد تستسلم دون اي مقاومة... في الحقيقة اعتقد انها خائفة منك قليلاً، هل خدعتها لتصبح خطيبتك؟ ام رشوتها بكنوز بيتك اكثر من متعاتك التي...».

«ستيلا!» فرقع صوته كالسوط.

«لم تتعلمي ابداً ضبط لسانك وانفعالاتك، دائماً تسمحين لهم بالخروج منك وكأن الحياة مسرحية والاشخاص دمى بدون مشاعر، لقد اصبحت قاسياً بما فيه الكفاية لتحمل ما تقوليه وتفعليه، لكن نانسي شابة ورقيقة تنجرح بسرعة، ربما ستأخذ ما

يمكن ان تقوليه على محمل الجد».

«هل انت خائف ان ارعبها قبل يوم زفافك؟» ضحكت ستيلا.

«بامكاني اخبارها الكثير عنك يا غارد، ربما لا تدري اني انا وانت اشخاص متشابهين، لا صبر لنا مع اشخاص متوسطي القدرة ومن السهل علينا ان نحب كحوز نمور، هل هي تحبك؟».

اخذت نانسي نفسها، حيث بدا لها من غير المعقول ان يكون شخص ما بمثل هذا الفجور ليسأل هكذا سؤال، لكن اتى بيار هذه المرة لينقذها.

«يجب ان تريني الحديقة، قبل ان يقرر القمر الذهاب، ويخفي نفسه، هل لي بإذنك يا سيدي؟».

«اجل، ارتدي معطفاً يا نانسي، عندما يكون القمر مشعاً هذا يعني ان هواء البحر سيقوى».

وقفت وهي تشعر بامتنان لذلك الفرنسي الذي تدبر هربها من هذا الموقف المحرج.

امسك لها معطفها ووضعه على كتفيها.

«العيون تعكس كل ما لا تجرؤ الشفتين على التفوه به» تمتم.

«دقيقة اخرى وكنت ستهرعين الى خارج الغرفة كفأرة مذعورة، لديهم ارادة قوية اولئك الاثنان مثل كونويل هذه التي احضرتني اليها ستيلا، بحجة انني سأجد موضوعاً للكتابة، آه، نعم هناك موضوع درامي، لكني افضل الكوميدي، هل نذهب من هنا؟».

اشار الى باب جانبي فأومأت برأسها وخرجا منه الى ضوء القمر، ورائحة الليل، ونسمات ناعمة تهب عابقة برائحة الازهار.

سارا صامتين لفترة في الحديقة، حيث وقفا على صخور قرب

البحر، التي غالباً ما كانت تأتي نانسي وحدها الى هنا، حيث كانت ترى الاحرف الاساسية لاسمي غارد وستيلا.

الفصل السادس

«انه بيت غريب» قال بهدوء.

«لكن ليس من الخارج، لكنه وضع الكثير من الجمال في داخله. اظن ان غارد سانت كلير يفضل بيته. انه مزيج عجيب هذا الرجل. ربما اكثر خطراً من ستيلا التي تقول اشياء ذات تأثير دون ان تعنيهم».

«اذا كنت تقصد ما قيل على العشاء فارجوك ان تنساه. فأنا متأكدة ان غارد لن يقتل من اجلي». ابتسمت نانسي لبيار.

«هو لا يحبني ابداً، اراد فقط ان يظهر لستيلا انه لا يمضي وقته يفكر بها، وجئت انا... فكنت نافعة لغرضه. فالامر لن يذهب الى حد الزواج».

«هل انت متأكدة من ذلك؟» اشعل بيار سيجارته، ونفث دخانها في الهواء.

«لا بد ان غارد احب ستيلا». قالت.

«انظر. هنا احرف اساميهم محفورة منذ زمن، عندما كانا فتاة وصبي سوياً».

«الصبيان يصبحون رجالاً والحب القديم يتغير ويأخذ اشكالاً جديدة. وانت تضعين خاتمه».

لمس بيار يدها الباردة المرتدية الخاتم.

«اصبحت خطيبته، لذلك يجب ان تشعري بشيء نحوه».

«لقد سمعت ما قالته ستيلا عني، اني فتاة مبتدئة طامعة بالاشياء الجميلة التي يستطيع تأمينها لي، انا لم اعش في بيت كبير كهذا ولا ارتديت ثياباً جيدة كهذه من قبل، ربما كل هذا صحيحاً، لا استطيع تذكر لماذا وافقت على الزواج منه. اعرف ان غارد ليس غريباً تماماً عني، لكن اشعر ايضاً بأنه لم يكن قريباً مني ابداً، لقد التقينا بصدفة عجيبة، وهذا ما انا متأكدة منه. والبقية بيضاء، لا استطيع تذكر شيء، فالسيارة التي صدمتني، قطعت الماضي عني».

«تماماً كتلك السيارة في شارع اوكسفورد التي قطعت ذراع غارد الأيمن».

ظهرت علامات الصدمة في عينيها.

«انا... انا لم أعلم ان ما حصل هو حادث سيارة، لم يتكلم غارد عن الموضوع والخدم ممنوعين عن ذكر اي كلمة تتعلق به».

«تقصدين ان تقولي لي انك لست على علم بما حصل لابتار ذراعه؟» نظر بيار مندهشاً.

«هل تودين ان اخبرك عن ذلك اليوم؟».

«لا... اجل» تنهدت.

«يجب ان اعرف، مع انني اخشى معرفته، اتساءل يا بيار، هل انا متورطة، بهذا الحادث بطريقة ما؟».

«اشك بذلك يا صغيرتي» لمس خدها بنعومة.

«كنت بالكاد فتاة مدرسة، تعلمها الراهبات، وانا متأكد من انك فتاة جيدة، فقد حصل منذ خمس سنوات، في قمة مجده، وشهرته عندما اشتعلت الشعلة وبرقت بينه وبين ستيلا، هل تريدين ان تسمعي؟».

«ليس لدي خيار آخر يا بيار».

شعرت بالتوتر والخوف مما ستسمعه، جرت الثواني صامتة، والقمر يبحر في السماء والنجوم تسبح في فلكها كسمكة مضيئة.

كانت ليلة جميلة، وكأنها صنعت خصيصاً توحي بالحب بدلاً من سرد التراجيديا.

سرت قشعريرة انفعال في اوصال نانسي، حين بدأ بيار دومونت بالكلام.

«كان غارد سانت كلير يعيش في لندن، ذلك الوقت في شقة جميلة قرب قاعة آلبرت. رأيته مرة هناك يقود موسيقى لفيردي، وتأثرت كثيراً، كانت العصا في يده وكأنها صولجان ساحر. وبالطبع لا ريب في وجود وحي موسيقي. هو دكتور في الموسيقى، ويعزف على الارغن بمهارة شديدة خاصة باخ، هل رأيت الآن كيف يمكنه ان يمنع نفسه من ان يصبح رجلاً آخر عن الذي كانه؟ كيف يمكنه السيطرة دائماً على مرارته؟».

كان بيار ينظر الى نانسي بدا متردداً، ثم تمتم.

«كوني شجاعة وصبورة، ستمر بسرعة ليلتك في المحاكمة هنا».

كانت هذه الكلمات من مسرحية حلم غيرنتوس.

«ذلك الرجل غارد، كانت لديه احلامه ايضاً، لكنه الآن اصبح بارداً كالصقيع، هذا الرجل الذي تعرفيه، هو غير الذي عرفته ستيلا، كانت في دار الاوبرا تلك الليلة، الليلة السابقة ليوم الحادث، كانت جالسة في المقصورة المخصصة له على المسرح، حيث تنتظر الجماهير، اداء احتفالي كبير لرقص الباليه، ليلة مثيرة في ذلك المسرح المثير، بمقاعده الحمراء المخملية واضواءه الكبيرة، وروح الموسيقى والرقص، جيسلوفا وانتون لودر على المسرح، بالطبع ستبدو هذه الاسماء غريبة لك، لكنهما اصدقاء ستيلا وغارد، كانوا جزء من عالمهم المهني والمسرح، ثم وفي غضون ساعات كل هذا المجد وهذه الشهرة تفتت، واصبحت الاحلام كابوساً، كان في شارع اوكسفورد في جولة ما، ويتسلى مثل الآخرين بكل تلك المحلات، يتجول تحت اشعة الشمس الربيعية، يشعر بالرضى عن نفسه قانعاً بعمله في الليلة السابقة، بكل تلك الموسيقى التي ربما كانت ما تزال في رأسه، وفجأة سمع صوت زعيق فرامل واصوات انذار بينما كانت سيارة كبيرة تجري بسرعة جنونية وتسلقت فجأة الرصيف حيث كان غارد يمشي. هو وشخصين آخرين طارا في الهواء من تلك الدفعة القوية، لتلك السيارة المجنونة، طار عدة ياردات وانغرز في واجهة زجاجية لاحدى المتاجر، كان حادثاً رهيباً، حصل بسرعة، في ثوان قُتلت امرأة وشخص آخر تمزق... وقطع الذراع الايمن لغارد سانت كلير، القائد الموسيقي، قطع بوحشية، بحد زجاجي تكسر من تصادم السيارة اطلق بيار آهة عميقة وغرق في صمت عميق سامحاً لنانسي ان تستوعب صدمة كلماته... فقد كانت

صادقة، اعادة صورة مريرة لذلك العذاب، فصرخت.

«آه، لا! ليس هكذا... بهذه الوحشية والشمس كانت ما تزال مشرقة!».

«تماماً هكذا» قال بيار بتعذر.

«لم يكن ذلك كل الرعب بينما كان مستلقياً بجراحه، وكل الحشود من حوله، سرقت محفظته، ورأى وجه الرجل قبل لحظة من مروره، في المستشفى لم يعرفوا من يكون لأن محفظته سرقت، ومعها كل اوراقه الثبوتية التي تعرف عنه، بتروا له ذراعه لينقذوا حياته، ذراعه الايمن الذي كان حياته، لا اكثر ولا اقل، بعدها وجدوا المحفظة في مجرور على بعد عدة ياردات من مكان الحادثة، بالطبع كل ماله قد سرق لكن عنوانه كان موجوداً ومطبوعاً على الجلد، لقد عرفوه، لكن بعد فوات الاوان على صديقه الجراح المشهور السيد هنري كابورن ليعمل على انقاذ ذراعه، ذهبت ذراعه وذهبت مهنة غارد ومستقبله معها. تعافى جسده مع الوقت، لكن يبدو ان افضل جزء من قلبه قد تحول الى رماد مع ذراعه الايمن. ما هو القائد الموسيقي دون ذراعه الأيمن؟ انه كحصان سبق دون رجله اليمنى».

كان البحر والقمر يشعان بغرابة امام عيني نانسي المليئة بالدموع.

«يا له من مسكين! ان يحيا مع فكرة انه كان يمكن انقاذ ذراعه لو لم يسرقه ذلك الجرذ الحقير! آه انه شيء غير محتمل!».

«النشالين لا ضمير لهم يا صغيرتي».

«ما زلت لا افهم كيف استطاعت ستيلا ان تخذله، بعدما

حصل له، فإذا كانت تحبه، كيف استماعت اضافة وحشيتها على معاناته؟ كيف تأتي الى هنا وتدعي انها ما زالت تهتم له؟».

«انها ملاك شيطاني» ملاحظة ناقدة ممزوجة باحترام مهني من كاتب مسرحيات الى ممثلة.

«تحب استعباد الرجال الذين كانت تحبهم، بطريقتها والتي يمكن ان تكون مختلفة عن طريقتك، احبت سانت كلير لكن بعد الحادث. بعد مرارة خاصة بينهما، رفض ان يعيش حياتها، والتي لن تحيا ابداً بعيداً عن الاضواء البراقة للمسرح، الكبرياء والارادة التي يتشاركانها هي في دمهما، فهم اولاد عم واسم ستيلا الوسطي هو سانت كلير. هذا ما يربطهما وفي نفس الوقت يبقيهما منفصلين، لو لم يحصل ذلك الشيء المرعب له ذلك الصباح في شارع اوكسفورد، لكانا تزوجا، اثنين من الفلك النجومي، لكن غارد لن يكون ابداً القمر الاصطناعي لزوجته، لاني اعتقد ان لديه القوة على نكران نفسه، لمقاومة ستيلا اكثر من المجازفة بما وجده هنا في كورنويل معك يا نانسي».

«وماذا تتصور انه وجد معي؟» كان دورها الأن في النقد اللاذع.

«ماذا اعرف عن الموسيقى والعالم الذي عنى له الكثير؟ ماذا اعرف عن كيفية التعامل مع رجل، وحيد مثل غارد سانت كلير؟ لقد اخبرتني قصته، وجعلتني اشعر بالاسف له... لكن الشفقة هي آخر شيء يريده من اي شخص! ما يحتاج له هو ستيلا وليس نكرة مثلي!».

«هذا يكفي!».

ربت بيار على كتفيها، رفع رأسها، ونظر في عينيها.

«لديك البراءة، في وجهك القمري هذا وعينيك الخضراوين، لم تذنبي ابداً في حقه، هي ربما قد اظهرت خوفها من النشوه، وفي وقت كان حساساً جداً له، مشكلة الممثلات انهم مرآة لجميع الانفعالات.

يا سخرية الاله لعدم اخذه يده اليسرى بدلاً من اليمنى! فانها تعني ان كل ما تمرن له وتمرس به، انتهى، وانه ليس فقط قد اصبح مشوهاً بل، خرج من عمله! عندما ترك المستشفى، ترك لندن، وسافر حوالي السنة، ثم عاد الى كورنويل، ولم يتكلم احد عن زواجه من ستيلا، الاقوياء هم اكثر عرضة للانكسار، لأن جروحهم تكون اقوى» قال بيار.

«هو بحاجة لك...».

«لكن اكثر من كل شيء» صرخت.

«لقد احتاج ان يظهر لستيلا، انه وجد فتاة لتحل محلها، لقد اتصل بها ليخبرها بذلك!».

«بل هي اتصلت به، يا صغيرتي، فقد سرت شائعات في محلات الثياب الكبرى، ان غارد سانت كلير يشتري ثياباً لامرأة شابة، ومن الواضح انه جهاز عرس، انا متأكد تماماً من انها دعت نفسها الى هنا، وبلا شك، الشيطان الذي في داخله دعاها لتلتقي زوجته المستقبلية، الا تفهمين؟».

«ليس تماماً يا بيار، فانا لست خبيرة بالحياة والناس كفاية إلى ان آخذ في خطواتي حقيقية، انني سأتزوج رجل قضى حياته يحب امرأة اخرى! اني اراهم سوياً، كم هم متناسبين لبعضهم،

فيما شخصان ماهران، ومتوحشين كالنمور. يمدون مخالبهم دون ان يدروا، لقد وُلدوا ليصبحوا لامعين، وليكونوا واثقين من انفسهم الى حد الغطرسة... انهم يجعلوني اشعر وكأنني عاجزة. اراهن انها في هذه اللحظة تسخر منه لمجرد عرضة على فتاة مثلي بالزواج. فهي تعرف، كما اعرف انا، انه يلعب بنا!».

حدق بيار بوجهها الابيض، وبصرخة النجدة التي على شفتيها، كانت خائفة ومستوحشة من مخاوفها وعواطفها وشفقتها.

«المسكينة» كان عاطفياً جداً حتى يتأثر باحاسيسها، فأخذها بين ذراعيه وحضنها، وسمعته يتمتم كلمات فرنسية، والاغرب من ذلك انها فهمت ما كان يقول فقد علمتها احدى الراهبات اللغة الفرنسية، كانت مندهشة جداً لهذا الاكتشاف الجديد في نفسها.

حيث بدت لها كصدمة، عندما سمعت صوت فاسي بالانكليزية يقطع حديث بيار دومونت.

«ماذا تفعل هناك؟ لقد حذرتك يا دومونت، انني لا احبذ المغازلة او العبث مع هذه الفتاة! ابعد يديك عنها... فانت تلاعبها وكأنها احدى فتيات مسرحك الصغير بعد مشهد من احدى مسرحياتك!».

كلمات غاضبة ومهينة لونت كل جزء من وجه بيار وهو يبعد عن نانسي محدقاً في الظلام، في شكل غارد، ذا الملامح القاسية. وتلك الحواجب السوداء فوق عينيه المضيئتين.

«لا تتسرع في اهانة خطيبتك يا سيد» متوجهاً نحو غارد.

«اذاً انت لا تعرفها جيداً، اذا ظننت انها تعبث معي من ورائك. انها بحاجة للصداقة هذه، وليس لعلاقة غرامية».

«صداقة حميمة، كما ارى» رد غارد بسرعة حاسمة.

«هل تحضن دائماً اصدقاءك وتهمس لهم بكلمات فرنسية تافهة في اذنهم؟ استطيع التخيل انه امر محرج، بالنسبة لمعارفك الشخصية من الرجال».

«غارد يكفي هذا!» تعبت نانسي فجأة من كل هذا، من كونها هدفاً بينه وبين ستيلا، والآن بيار، سترحل في الصباح الباكر بهدوء من هذا البيت الذي كان عرضة الليلة لتدفق مشاعر قديمة ضغطت على اعصابها. آملة ان يجد طريقة ما ليكون سعيداً مع ستيلا.

«انا تعبة» قالت.

«انا ذاهبة للنوم».

ركضت متجاوزة غارد نحو البيت، دخلت غرفتها واغلقت الستائر نوافذها لتبعد القمر الذي أبحر فوقها منذ قليل.

سرى التعب في جسدها، فشعرت بالبرد، فركعت على السجادة وجلست امام المدفأة الكهربائية، حدقت طويلاً بالنار وعاودها الشعور بالاسف والرعب لغارد... لكنها سترحل في كل الاحوال. يجب ان تحذر من هذه الشفقة، لانه يطلب اكثر من ذلك. فقط عندما تغادر المنزل ستتأكد من انه لم يستعملها كسلاح ضد ستيلا.

خلعت الخاتم من اصبعها ووضعته في مكانه المخصص له، ورفعت يديها لتفك السلسلة واللؤلؤة التي اعطاها اياها غارد، فاستلقت في راحة يدها كقطرة دمع مجمدة... بالطبع هناك اساطير عن اللآلىء والليلة ادركت كم تؤلم الدموع.

كان الوقت متأخراً عندما سمعت الابواب تغلق في الرواق، بعد ان نامت، لكنها انزعجت اكثر من احلامها. كان الظلام حالكاً، والقمر قد ابتعد عن ستائر النافذة، عندما سمعت صوتاً ما اوقظها.

فاستلقت في الظلمة صاغية الى صوت دقات الساعة، منتظرة بتوتر ان يأتي ذلك الصوت ثانية، حتى تستطيع التعرف عليه.

آه... جلست نصف جلسة على سريرها، فوقعت الاغطية عن كتفيها، كان الصوت هناك على التراس، صوت وقع اقدام في صمت الليل، قريبة جداً من نافذتها، حيث بدأ قلبها يطرق بعنف.

تصورت لصاً ما في الخارج، يبحث عن مدخل الى البيت لسرقة بعض الاشياء الثمينة.

مدت يدها لتضيء اللمبة التي بقربها، فربما سيخيفه ضوء مفاجيء. لكنها اخطأت المسافة نحو اللمبة في الظلمة فأوقعتها على الطاولة. حبست انفاسها وكادت ان تسمع اللص يتنفس قرب نافذتها... ثم بدا قلبها وكأنه يركل صدرها عندما سمعت صوت مقبض الباب الذي يؤدي الى التراس، ورأت الستائر تنفتح في ضوء القمر، وخطى رجل الى غرفة نومها!.

«لا تصرخي» قال.

«او ترمي شيء سمعت صوت وقوع شيء فعرفت انك مستيقظة».

«انت!».

لا يمكن الخطأ، بهذه النبرات الصوتية العميقة، وكذلك طول

الدخيل، عادت الستائر الى اماكنها ثانية واهتزت يداها بعصبية اكبر، وهي ترجع اللمبة الى مكانها وتضيئها، اظهر الضوء شكله الطويل والقاتم المناقض للستائر الذهبية، اطرف عينيه في الضوء كهرٌ كبير آت من الظلمة.

«ماذا تريد يا غارد؟».

وضعت الاغطية عليها، لكنها ادركت ان عيناه رأت كتفيها عاريتين.

«لا اعرف بالحقيقة» جلس على حافة سريرها.

«اعتقد ان خطواتي ايقظتك، هل ظننت انني لص ما؟».

«اجل».

حدقت لغرابة وجوده في غرفتها في الليل، لكن ضوء اللمبة في غرفتها اعطى جواً حميماً، شعرت به ينظر اليها عن قرب، بينما نظراتها كانت تتنقل في الغرفة متجنبة شكله بالروب القاتم، وتلك اللمحة للشعر الاسود على صدره، من بيجامته المفتوحة.

«اكره التقلب والقلب» قال.

«لم استطع النوم، فحاولت ان اتمشى لاتعب نفسي، انا آسف لازعاجك ولجعلك تخافين، يجب ان اقول انك تبدين بيضاء كثيراً، هل تودين شربة ماء؟».

«انا بخير... لن يغمى علي». ردت بسرعة.

«انت مضحك يا غارد، مرة تظنني وقحة، ومرة اخرى بلا روح، انا... انا نانسي رايفورد، ولا يمكنني ان اوفر لك ما تريده، المرأة الوحيدة التي تستطيع ان تجعلك تشعر بالحياة هي ستيلا، وواحد منكم عليه ان يخضع...».

«لن يكون هذا الشخص أنا ابداً!».

انحنى نحو نانسي وعيناه تشتعلان بالذكرى الاليمة، فشعرت برجوليته وبكل تلك المشاعر المختزنة المكبوتة لخمس سنين.

«بالطبع لدي جراح وندوب وستبقى دائماً جزء مني، لكن الاحلام القديمة قد ولت واريد احلام جديدة، اريدك انت، يا طفلتي المقدسة، وسأحصل عليك. انت مدينة لي بنفسك، هل تعرفين هذا؟».

«تعني انني في عهدتك، مدينة لك؟».

كادت ان تحس بثقله عند رجليها، فكم من السهل عليه، ان يسحق ضعفها وهشاشتها بقوته، ليس لديها سلاح سوى الكلام، وحتى الكلام يمكنه تحويره لفرضه.

«انا انسانة يُطلب مني ان ادفع ثمن الثياب في تلك الخزانة، وللحضانة التي توفرها لي، دون ذكر السقف فوق رأسي؟ هل انت متأكد انك حاصل على قيمة مالك؟ انا لا اعرف شيئاً عن الرجال، وكذلك عن ادارة منزل كهذا، فحتى آليس الخادمة لديها اعمال تستطيع القيام بها اكثر مني».

«آليس لديها ذوق مقيت في الموسيقى، ولا شك عندي ان ثقافتها الجنسية قد بدأت منذ زمن، لكن معك، يا صغيرتي، فابدأ من الخدش، وانا متعجرف كفاية لان احب فكرة خلق امرأتي الخاصة، من ضلع صغير مجرد».

جالت عينيه على اغطية السرير التي تغطيها.

«التصرف الذي انت فيه الآن يحرض اكثر من رؤيتك في ثياب النوم، تبدين وكأنك تتوقعين مني افتانك او سلبك، وبصراحة فهي

الطريقة الاسهل لاخذك الى مذبح الكنيسة، فانت لن تقاومي اذا فعلت ذلك هنا والآن».

«لن تجرؤ!».

جلست في سريرها متصلبة من الخوف.

«لن تكون نذلاً الى هذا الحد!».

«يا لها من كلمة قديمة يا مدللتي».

زحف نحوها كنمر قاتم في رجل وفتنة خطرة في دمه من جراء رفض ستيلا له، التي احبها وهو صبي، وهو رجل، انها ستيلا التي جعلته قلقاً الليلة، وكان عليه اخراج قلقه، فكانت نانسي في متناول يده.

سجينة طبيعتها الخجولة ونشأتها المحافظة جداً في الدير، حتى ان صراخها سيكون مخجلاً اكثر من اي شيء سيفعله. ادركت عيناه بطريقة ساخرة انها لن تصرخ وتجلب ستيلا الى هنا.

«الانذال هم الرجال الذين لا يعرضون الزواج قبل او بعد العمل».

قال وقبل ان تستطيع منعه، اخذ يدها اليسرى ونظر اليها.

«ارى انك لا تضعين الخاتم عندما تنامين».

«هذا ليس خاتمي، انه ليس لي، ولا اهتم اذا كسرت لي يدي لقولي هذا!».

شعت عيناها الخضراوان استخفافاً به. انزلق الغطاء الحريري عن كتفيها، ولاحقت عيناه دقة قلبها تحت قميصها الزهري الحريري.

«لماذا تصرين على ان الخاتم ليس لك، وانا اعطيتك اياه؟».

كان صوته فيه نبرة تحدي. وكأنه يدفعها لتخبره لماذا كرهت الخاتم وفي نفس الوقت يحذرها انه بدأ يفقد رباطة جأشه، ادركت نانسي انها تستطيع ابقاءه هادئاً، اذا ارادت، لكن اذا استمرت في تعرية حقيقة علاقتهم سيتحرر من قيوده وستكون الحقيقة الممزقة ملكها في الصباح.

«اهكذا تفكرين بي؟».

قال ممسكاً لها يدها، وشعرت بشفتيه على معصمها، تماماً حيث كان نبضها يدق بسرعة، وعندما ارادت تحرير يدها، شد عليها بقوة.

«انت على حق يا طفلتي البريئة، الخاتم صنع خصيصاً لستيلا، كما لاحظت، فالزفير يطابق عينها تماماً فقد امرت بصنعه في اليوم الذي قررنا فيه ان نتزوج في لندن منذ خمس سنوات، وفي الوقت الذي ارسلوه لي، كنا انا وستيلا قد انتهينا من فكرة الزواج. وقد تركتك تلبسين الخاتم، يا مدللتي، لاني اردت رؤية الالم في عينيها المتطابقتين للونه. انت ترتعدين يا نانسي! لا تحبين الوحشية أليس كذلك؟ انت تؤمنين بالايمان والرحمة، كما يجب ان تكوني، كنت اؤمن بتلك الفضائل انا ايضاً، كصبي مثالي، وحتى كرجل، لكني فقدتهم... فقدت الكثير من الاشياء. لكن انوي الاحتفاظ بك!».

اطبقت شفتيه على فمها بعدما انهى الحديث، ولم يبد شيء آخر حي في العالم سوى فم غارد، غير مهتم انها تقاومه، حتى انهارت قوتها تماماً كشفتيها وجسدها الفتي الخائف.

لم تستطع الصراخ... لكن فجأة صرخ احد ما على الباب،

تجمد كل شيء... الشفتان تمسك بشفتيها. تأنها تحولت الى حجارة، ثم رفع غارد نفسه وادار رأسه نحو الصرخة المختنقة.

«ستيلا!» قال غارد.

رفعت نانسي رأسها لترى روبها الصيني وهي تغلق الباب خلفها تلك الممثلة، ثم دب الصمت بين اثنين، لم يجدا ما يقولانه، قام غارد عنها وتركها مستلقية على السرير.

«امسكت بنا أهكذا تقال؟» قال موربا شفتيه.

«لدى ستيلا دائماً اساليب بحث وتحقيق كان يجب ان اعرف انها ستكتشف الامر، وانا اكلمك عن الزواج والآن ادركت ذلك اليس كذلك؟».

«انت اردتها ان تعرف» قالت نانسي.

«لا تدعي امامي انك نسيت اي شيء يتعلق بستيلا، انت تعرفها كما تعرف نفسك، وقد تأكدت من انها سمعتك تمشي على التراس، كما فعلت معي، لقد وضعت توقيتاً رائعاً لكل هذا، اردتها ان تجدني بين ذراعك، متخاذلة، حتى اتزوجك واوفر لك درعاً ضد نقطة الضعف في سلاحك، يا غارد، نقطة الضعف التي تماماً في قلبك! ستيلا في قلبك، وفي دمك، ولن تستغلني لابقائها بعيدة، فأنا لدي كرامتي، كما تعلم!».

«وما قيمة كرامتك، نانسي، عندما تنتشر الاخبار بأنك عشيقتي؟».

«لكني لست...».

«هل تتصورين يا صغيرتي، ان ستيلا ستعتقد اننا نتمرن الآن؟».

اتكأ الى الامام، بجفاف.

«حسناً، هل ارميك خارج بيتي في الصباح، كمخلوق تم استهلاكه؟».

«افعل ما تريد، فأنا سأكون كل شيء الا زوجتك، اي شيء! مسح الارض المطبخ سيكون افضل من ان امارس الحب مع...».

توقفت، هو شيطاناً لكن ليس وحشاً، فسحبت الكلمة قبل ان تلفظها.

«معاق، هذا ما كنت ستقولينه؟».

وقعت الكلمات عليها بسرعة، كلماتها لكن بوحشية اكبر.

«هل كنت ستناديني بهذا في وجهي؟ حتى ستيلا لم تلفظ الكلمة، فقط بدت كذلك».

«غارد...».

لكنه استدار، كان خارجاً من غرفتها، توقف قليلاً قرب الطاولة ليأخذ الخاتم نظر اليه قليلاً ثم وضعته في جيب روبه.

«تصبحين على خير».

قال في صوت آلي.

«لا يمكننا مناقشة المستقبل في مزاجنا الحالي، سنترك الامور كما هي الى الغد».

اغلق الباب خلفه، لكن بدا وكأن صدى صوته ما زال موجوداً.

«معاق... هل كنت ستناديني بهذا في وجهي؟».

سكرت نانسي اذنيها بيديها بحركة دفاعية طفولية ضد هذه الكلمات التي تتردد في ذهنها.

لم تحلم ابداً في مناداه غارد هكذا، لكنه خرج من غرفتها معتقداً انها نفرت منه بسبب فقدانه ذراعه...

الفصل السابع

ارادت بكل وجدانها ان تذهب وتقول له ان بتر ذراعه ليس السبب في نفورها منه.

لا في الليل ولا في النهار ستكون قادرة على طرد فكرة او شعورها ان حبه لستيلا هو في اعماقه لذلك سبب رفضها للمساته... كلما يلمسها او يقبلها، يفكر بستيلا. ربما كان راغباً في جسدها، همساتها التي تمسك الذكريات التي تشاركاها في صباهم وفي مجدهم.

سرت برودة في اوصال نانسي فانزلقت في السرير مرتجفة... لم تجروء على التفكير ماذا كان سيفعل معها، لو لم تتدخل ستيلا.

دفنت وجهها في وسادتها. شاعرة بجسدها يحترق، تواقة لطلوع الفجر، ليس عليها مواجهة غارد او ستيلا، لانها سترحل في الصباح الباكر. لم يعد لديها الخاتم لترهنه، لكنه ترك السلسلة واللؤلؤة، وستكفي لمصاريفها في لندن.

في تلك المدينة الكبيرة، ستكون مجهولة، وسيكون

باستطاعتها الاتصال بدير لمساعدتها.

لقد خططت للاستيقاظ باكرا، لكن عواطفها المرهقة خدعتها، تدفقت الشمس الى الغرفة وكانت آليس تقف قربها حاملة صينية الافطار عندما استيقظت.

«آه...» حدقت بآليس.

«كم الساعة الآن؟».

«تجاوزت العاشرة، يا آنسة، لقد اعطينا اوامر بعدم ازعاجك».

بدا في صوت الفتاة نبرة متملقة.

«لا بد انك حظيت بليلة قلقة، فانت عادة نائمة هادئة وتستيقظين باكراً، اليس كذلك؟».

«اجل».

قالتها بغضب لانها لم تعجبها طريقة آليس في الكلام.

«سأتناول فطوري قرب النافذة، من فضلك ضعي الصينية على الطاولة هناك».

«كما تريدين آنسة نانسي».

توقفت آليس قليلاً قبل ان تطيع اوامرها، فلهجة السلطة هذه لم تكن في صوتها قبل الآن، خرجت الخادمة وجلست نانسي على الطاولة الصغيرة، تستمع الى زقزقة العصافير وهي ترشف قهوتها.

اجبرت نانسي نفسها على تناول افطارها، فلربما تمر ساعات قبل ان تتذوق شيئاً آخر، فقد صممت على الرحيل، ففي خبرتها هذه لا تستطيع التعامل مع رجل، يصنع متطلبات العاشق دون ان يكون عاشقاً.

في العاشرة والنصف كانت مرتدية بنطالاً وكنزة صفراء مع جاكيت مخملية، وضعت في جيبها اللؤلؤة التي ستوفر لها مصاريفها في لندن. وبعد نظرة اخيرة على الغرفة اسرعت بالخروج منها، بعيداً عن ذكرى الليلة الماضية... الكلمات الغاضبة... القبلات المتوحشة... التناقض التي لا تستطيع مواجهته بعد الآن.

كان صباحاً مليئاً بالوعود الجيدة ليوم جديد. اخذت الطريق الغربي من البيت حتى لا يراها العمال.

عندما وصلت الى الابواب القت نظرة اخيرة على البيت وتساءلت لماذا لم تذهب مع غارد ابداً الى الجناح الغربي، مع انه دعاها كثيراً للذهاب إلى هناك، فقد قال لها انها هناك ستعرف ماذا كان بالنسبة لها...

فقد ادركت الآن، كم كانت خائفة من ان تتذكر اذا كان الكره او الحب هما اللذان دفعاها للهروب منه تلك الليلة التي اصيبت فيها.

اغلق الباب خلفها متأوهاً، والطريق مضاءة بشعاع الشمس وكان لا شيء يمنعها من الهروب من ذلك البيت.

مشت عبر الحقول، مرت ببضع اكواخ ذات الجدران الحجرية، وكأنها مزروعة في الارض كتلك الازهار من حولهم، فكل ذلك جعلها تشعر بالوحدة، لو كان فقط احد هذه البيوت لها، لكنها الآن في طريقها الى لندن، حيث البيوت مليئة بالاغراب.

هناك لن تسمع اصوات تكسر الامواج على الصخور، حيث

مشت لتملأ رئتيها بهواء نقي منعش ، وربما لتلمس احدى تلك الصخور للحظ، حيث اغمضت عينيها، لتقول امنيتها، دعني اجد مكاناً في مكان ما، مكان انتمي اليه، واجعل هذه المنطقة تزول من ذهني وكأنها حلم.

لكن في تلك اللحظة ما سمعته كان صرخة منبعثة من كابوس... نهضت مذعورة، وركضت لترى ما يحصل في الاسفل، فتجمدت الدماء في عروقها.

حصان صغير يتلوى من الالم في مستنقع اخضر من تلك الرمال المتحركة.

بريق جيده الجميل وهو يناضل ليخرج نفسه من حفرة الموت، صرخ مجدداً وصوب نظراته نحو نانسي في لحظة مجنونة، وكأنه يطلب منها المساعدة.

يجب ان تجد من يساعده، حالاً، فهرعت صوب الطريق، لاهثة، وهي تتسلق الحافة، لتركض صوب الكوخ الذي مرت به منذ قليل.

سمعت صوت سيارة على الطريق خلفها، فاستدارت لترى، ثم ركضت صوبها ملوحة طالبة النجدة.

توقفت السيارة وأطل رأس منها.

«يا للهول!» قال مستعلماً.

«الطفلة المجنونة هذه، انها نانسي».

فتح الباب الآخر من السيارة.

«نانسي هذه انت؟».

هذا الرجل كان غارد سانت كلير، والغريب في الامر انها

شعرت فقط بالامتنان، فهرعت نحوه ممسكة ذراعه.

«هناك حصان عالق في الرمال المتحركة!».

قالتها بنفس متقطع.

«كنت ذاهبة الى ذلك البيت لاحضار نجدة، يجب ان تفعل شيء ما! فأنه يغوص...».

حدق بها.

«منذ متى رأيته؟» سألها.

«منذ سبع او ثماني دقائق، كنت اركض بأسرع ما يمكن... غارد ارجوك ان تفعل شيء!».

هزت ذراعه تستحثه.

«لا تقف هكذا والا سيموت!».

سمعت تنهيداته.

«لقد فات الاوان يا نانسي، الحيوان المسكين سيكون قد غرق الآن، انا آسف يا طفلتي...».

«آه، لا تأسف!».

تركته وارادت ان تركض باتجاه الكوخ فالتقطتها ذراعه بقوة وألم.

«اخبرتك انه لا يجدي نفع الآن، اعرف هذه المستنقعات منذ سنوات، وسنحتاج الى تراكتور وحبال لنسحب الحصان خارجاً، لقد قضي الامر يا نانسي، لقد انتهى الحيوان».

سكتت وعرفت انه على حق، لكنها شعرت بحاجة لمجادلته، حتى بعد ان نزل ببار من السيارة وانضم اليهم.

«انت دائماً متأكد من الاشياء» صرخت بغارد.

«انت دائما تعرف اكثر من اي شخص ما يجب فعله، وعدم فعله... لكن اعتقد انك قاس كتلك الحجارة الواقفة قرب المستنقعات!».

«لما كل هذا؟» سأل بيار.

«ما حصل؟».

«لقد رأت نانسي حصاناً يغوص في المستنقع، لقد رأيت هذا يحصل كثيراً للخيول البرية الصغيرة التي كانت تجري هنا...».

«هذا لم يكن مهراً برياً» قاطعته.

رفعت عينيها الى وجه غارد.

«لقد رأيت اللجام حول رقبته... ألا تفهم كان حصاناً مسرجاً يا غارد، وبالتأكيد كان لديه راكباً! لم يكن هناك اي اشارة لراكبه... فمن كان، يمكن ان يكون قد وقع في الرمال المتحركة ايضاً!».

«يا الهي» شحب وجه بيار.

«هل كان الحصان بندقي اللون؟».

«اجل» فكيف يمكنها ان تنسى لمعان جيده وهو يصارع الموت.

«بدون شك كان بندقي اللون».

«يا الهي!» تغيرت ملامح غارد وتوترت.

«تعالي، يا نانسي الى السيارة! دومونت يجب ان نعود الى الاسطبل، فالراكب يمكن ان يكون ستيلا!».

هرعوا نحو السيارة وتوجهوا الى الاسطبلات فركض غارد بخطوات واسعة قبل نانسي وبيار.

«ديك! اين انت؟».

«انه قلق جداً» امسك بيار نانسي بمرفقها.

«لا بد انك وجدت كل هذا مرعباً؟».

«لا ادري لماذا يكون الجب امراً معقداً هكذا؟».

كانت تفكر بغارد وستيلا وحربهما المستمرة.

«يجب ان يكون بسيطاً وطبيعياً، لكن بدلاً من ذلك، يجلب المتاعب والآلام، وكل ذلك بسبب شخصين لديهما من الكبرياء ما يكفي ليمنعهما من الاعتراف انهما بحاجة لبعضهما بيأس».

اتى غارد مع السائس بعد استجوابه.

«يقول ديك ان ستيلا كانت على الحصان البندقي، ولم يعد اي منهما، سننظم فرقة للبحث، نانسي هل يمكنك اخبار ديك بالضبط ما رأيت؟ ووصف المكان الذي حصل فيه؟».

بعدما انتهت من وصفها حيث حاولت الحفاظ على صوتها ثابتاً، قال غارد الى بيار.

«خذ نانسي إلى البيت، واعطها جرعة براندي».

وصل بيار ونانسي إلى المنزل، فنظر بيار الى السماء.

«يبدو وكأنه سيتم حدوث عاصفة، مما سيصعب الامر علي الباحثين. تعالي لندخل لاعطيك الجرعة التي وصفها غارد لك، يا لك من مسكينة صغيرة تبدين مرتعدة».

«من كان يحلم، بحدوث امر كهذا؟ ماذا سيحصل اذا لم يجدوها سيكون الامر مروعاً بالنسبة لغارد، كيف سيتحمل ذلك؟».

«لا استطيع القول، سيكون الامر راجعاً لك في تعزيته».

«كيف سأفعل هذا، فلقد احب ستيلا، ولم يحبني للحظة واحدة».

«هل تحبينه؟» سأل بهدوء ومشى نحو خزانة الخمر.

«انا ممتنة لغارد على تأمين منزل لي عندما احتجت لذلك، لكن الامتنان ليس بديلاً لمشاعر اقوى اليس كذلك؟».

«ماذا تعرفين عن العاطفة، بعيداً عن قراءتها في الكتب؟ في صحتك».

رفع كأسه واعطاها كأسها.

«اشربي واسي تلك الكوابيس».

«كيف عرفت انني اشعر هكذا... وكأني في كابوس؟».

«من نظرات عينيك، نانسي، لديك عيون متكلمة تعكس، ربما اكثر مما تريدين».

اخفضت نظرها ورشفت من كأسها.

«هل يشعرك هذا بتحسن؟». تمتم بيار واقترب منها.

فنظرت اليه ببرود وكأنها تقول له.

«احفظ المسافة بيني وبينك ايها اللاتيني الخطر!».

«في عمري، يا فتاتي الصغيرة لدي خبراتي، لقد تعلمت ان الحب هو اكثر لعبة مثيرة، حيث يتقبل الشخص الهزيمة او النصر بضحكة مرحة، لا احد يضحك على الحب».

«لكن بالتأكيد انت تتكلم عن العاطفة، فالاصطياد الذي يتركك دائماً حراً لتذهب وتحظى بطائر آخر».

«هل تظنين اني اوقع بك نانسي؟».

«انا متأكدة انك تتسلى معي يا سيد فمع الفتيات من فصيلتك

ذات الخبرة بامكانك فعل ما تريد، لكن معي، يوجد غارد حاجزاً بيني وبينك».

«مؤثر، هناك عسل في معظم الازهار» قال.

«معظم الرجال يحبون المرأة ان تكون نصف ملاك، ونصف عابث واعتقد ان النساء يحبون الرجال كذلك ايضاً، ولذلك شعرت ان غارد يفعل الخيار المناسب بالزواج منك، فتاة مثله، لم تلمس عاطفياً، مع عواطف لم توقظ بعد».

«آه، لا اريد ان يحدث شيء فظيع لستيلا، لكن هذا سيغير الأشياء انها فقط ستيلا الحية التي يحارب غارد ضدها، ويستخدمني كسلاح ودرع واقي، يا للغرابة لا استطيع فهم ذلك النوع من الحب».

«هل تستطيعين تعريف نوع الحب المناسب لك؟» سألها.

«ليس تماماً، لكني افضله ان يكون من اجلي مهما كان نوعه».

«تريدين ان يحبك احد لشخصك».

«انا اطلب الكثير بذلك، اعرف...».

«لا تكوني متواضعة الى هذا الحد، فانت كالجزيرة البرية».

اقترب بيار منها بعد ان احس بحزنها ويأسها.

«بيار...».

«اعرف يا طفلتي، الانتظار هو اسوأ شيء، خاصة انك رأيت الحصان! لا بد انها كانت عليه، اذا اردت الهروب؟ واين كنت ستذهبين؟».

«الى لندن...» ثم توقفت لدهشتها، كيف ادرك بيار ذلك.

«انت طفلة طيبة يا نانسي، من السهل جداً ان يحبك انسان، فكل شيء فيك يعكس شعورك دون مواربة او خداع، هناك شيء غامض في وجهك نانسي، فهو من النوع الحالم».

الفصل الثامن

امسكت اصابعه بعنقها، وقربها منه، وقبلها على خدها ثم على زاوية فمها، حاجتها للحنان ازالت كل دفاعاتها انتظرت كالمنومة، حتى تلمس شفتيها شفتيه لكن طال الانتظار ففتحت عينيها بتعابير مؤلمة.

«ليس هكذا، وكأنني سأباركك، هل انت هكذا مع غارد؟».

«كيف انا مع غارد ليس من شأنك!».

ابعدت ذراعي بيار عنها. وانتفضت وهي تنهض بعيداً عنه.

شعرت برأسها يدور، من الكونياك الذي شربته، فتمسكت بالستائر قرب التراس، فرأت اشكالاً آتية من بعيد في ذلك الضباب الرمادي الممطر.

احدهم كان يقود الطريق، ويتبعه آخر وفي ذراعيه امرأة... امرأة وكأنها شعلة احترقت.

فتحت الابواب فجأة بقوة، فتركزت نظراتها على غارد وديك ترافيس الذي يحمل ستيلا الى الغرفة.

«اليس كل هذا دراماتيكي جداً، يا اعزائي؟».

اطلقت ستيلا ضحكة عميقة.

«كبدء مسرحية... او آخر مشهد قبل اقفال الستارة».

اخبر غارد نانسي عن الحادثة مؤخراً في ذلك اليوم المشحون، كانت تجلس وحيدة في الغرفة الزجاجية، حين سمعت خطواته قادمة باتجاهها.

توترت قليلاً، ثم ادارت رأسها باتجاه الباب، حين شمت رائحة سيكاره.

«ظننت انك نمت، حتى رأيت الضوء عبر الزجاج» قال.

«انت تبدين كالشبح، وككل بيت قديم في كورنويل، هذا البيت لديه شبحه ايضاً، هل انت متوترة؟».

«لا» قالت وادارت وجهها نحو النافذة.

«انها عاصفة غريبة، اسمع صوت الرعد، لكن كل شيء هادىء جداً».

«انه برق البحر» تمتم.

«كيف اصبحت ستيلا؟» سألت بهدوء.

«نامت اخيراً، فغداً ستكون قادرة على تمثيل محتويات قلبها».

«هل كسرت رجلها؟».

سألت نانسي، وهي تحاول نسيان صورة الحصان المسكين الذي كان يصارع الموت.

«جرحها بليغ، وعليها ان ترتاح لمدة اسبوع، لا بد انها كانت تركب الحصان بقسوة، لكننا قررنا انا وديك عدم معاقبتها، فقد علمت ما حصل لذلك المخلوق المسكين، واخذت درساً».

«ماذا، لم تكن متوحشة؟».

قالت نانسي كلماتها ولم تندم عليها.

«ادرك شعورك، لكن لا يجب اظهار انفعالك بهذه الطريقة، اعتقد انك قريباً ستجلديني».

«ربما» قالت بلا مبالاة.

«انت وستيلا تفهمان بعضكما، لكن لا استطيع الادعاء انني افهم اي منكما، فانت وهي تستحقان بعضكما».

«حقاً؟ واين سيكون مكانك؟».

«سأرحل، يا غارد غداً».

«هكذا!».

«تبدو الطريقة الافضل، فقد نفذت ما تريد بأن اكون آلة مستخدمة، ولم احبها ولا اريد المزيد منها، يجب ان اعود الى حياتي الخاصة، وعليك ارشادي لذلك، انا متأكدة انك تعلم الطريق المناسب».

«لا تتأكدي من شيء، ايتها المرأة الصغيرة على الاقل ان انوي خسارتك...».

«لكن يجب ذلك يا غارد! سأهرب من جديد...».

«من جديد؟». امسكها بذراعها.

«ماذا تعنين بذلك... هل كنت هاربة عندما ارجعتك الحادثة؟ اين كنت ذاهبة؟ وماذا كنت ستستعملين بدل المال؟ لقد تأكدت من حصولك على كل ما تريدين، لكني اعرف انك لا تملكين مالاً».

«اشياء يمكن رهنها» ذكرته.

«لماذا تهتم الى اين اذهب؟ وكأنك...».

توقفت كلماتها وكأن يداً وضعت على فمها لاسكاتها.

«دعني يا غارد، ارحل».

كان يأسها ساكناً، حيث لمسته ارسلت رجفة فضولية فيها، حيث وقفوا في القاعة الزجاجية، واحست انها تحبه.

صعقتها تلك الرجفة كالبرق، حتى كادت ان تصرخ من تلك الصدمة، فحتى تنفسها اصبح مشكلة.

فالليلة الماضية كانت تقاومه، وها هي اليوم تقاوم رغباتها، وهي تحاول التحرر منه.

«آه... لا تفعل!».

شعرت بكتفها يقطع عندما شدها بقسوة نحوه، فافقدها توازنها فاضطرت للتمسك بذراعه اليمنى المبتورة، فسرت في جسدها احاسيس بالشفقة والمرارة.

«انت لا تحبين ان تلمسيني، اليس كذلك؟». قال ساخراً.

«شعرت بك ترتجفين وكأنك وضعت يدك في اللهب، حسناً لن يكون هناك اي زواج، فلن تحتاجي للهرب، يمكنك البقاء هنا، وعدم الخوف من اجبارك على وضع غير محتمل، يا لك من مسكينة».

حضنها بذراعه ووضع ذقنه على رأسها.

«اجل ابقي هنا، ليس لديك اي مكان آخر لتذهبي اليه، هذه هي الحقيقة».

«لكن يا غارد انت تعلم اين هو المكان».

«صدقيني يا نانسي، لقد تركت الدير عندما التقينا...».

«انا لا اصدقك!» ابتعدت عنه.

«يجب ان تخبرني الحقيقة يا غارد! ما الذي احضرني الى هنا... ولماذا ابدو وكأنني اتذكر انك لديك سبب ما... ليس لحبي بل لكرهي؟».

حدق بها.

«انا متأكد ان ذاكرتك ستعود لك، ستنجلي العاصفة غداً وسيبدأ الصيف، عليك ان تمتعي نفسك، كوني حرة ولكن سأعقد معك اتفاقاً واحداً فقط، اريد ان تكملي دورك كخطيبة مزعومة لي» قال.

«اعدك انها ستكون خطبة مزيفة من الآن فصاعداً».

«لكني لا افهم، هل انت متأكد انك تريد اخبار ستيلا، ان ما رأته الليلة الماضية في غرفتي كان تمثيلاً؟».

«على العكس، اريد ان تغادر ستيلا في اسرع وقت ممكن، يجب ان تعود الى حياتها، ويجب ان ابقى انا هنا لاكمل حياتي، فقد ولّى الماضي... كما ولّت ذراعي».

«لكن الحب يبقى» تكسرت الكلمات في فم نانسي.

«لا تستطيع الادعاء انك لا تشعر بشيء تجاه ستيلا».

«تبدين وكأنك تريدين رمي بين ذراعي ستيلا، وكأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي توفر لك الامان مني، اؤكد لك انها لن تكون سوى مجرد لعبة، لاقناع ستيلا اني انوي الزواج بك».

«هل كبريائك غير متسامح لهذه الدرجة؟» سألت نانسي.

«لا علاقة لهذا بالكبرياء» قال.

«فانت ما زلت صغيرة جداً، ربما، ضائعة كثيراً، لتوضيح حقيقي».

«لا» هزت رأسها.

«اعرف ان هناك حباً خلف الحب، واذا كان يجب استخدامي...».

«لا احب ان تستخدمي هذه التعابير، انا بالكاد اطلب تعاونك».

«لما لا؟ فهذا عائد الى رد الجميل لك، للعناية بي...».

«نانسي» لمست يده كتفها، فلم تستطع السيطرة على الرجفة التي سرت في جسدها.

«غارد، هل استطيع الذهاب للنوم؟ اشعر بالغرابة...».

«بالغرابة مني ومن طلباتي، اليس كذلك؟ حسناً لا تقلقي بعد الآن، غداً ستشرق الشمس وبامكانك الذهاب الى الشاطىء واللعب ببحيرات الصخور».

«غارد، انا لست طفلة! ربما سأذهب الى الشاطىء مع بيار، فهو يعلم انك كنت تسخر عندما اخبرته ان خطيبتك مقدسة الى ابعد حد».

بهذه الكلمات خرجت من القاعة. وعندما وصلت الى غرفتها استلقت لمدة طويلة.

ادركت ان رغبتها لغارد كانت تتصاعد، تذكرت كلماته ابقي هنا، ولا تخافي لن اطلب منك اي متطلبات بعد الآن.

تنهدت في سريرها، وادركت بكل جزء من جسدها، انها ارادته ان يتطلب منها، متطلبات عاشق.

كان غارد عالم بكورنويل، فبعد اسبوع، اصبح الجو استوائي، اما نانسي فقضت معظم اوقاتها مع بيار ولم تعرف اذا كان بيار قد

علم بلعبتها هي وغارد، فلم يسألها ابداً.

فلقد كانت خائفة من البقاء وحدها مع غارد لانها شعرت بحبها له ينمو اقوى واقوى. وجسدها الخائن كان يجد الامر اصعب بان يقاوم لمساته كل الوقت.

وقفت تلتقط انفاسها بعد نزهتها حول المنزل فالتقت بالخادمة آليس التي اعلمتها على الفور ان الآنسة ماريك تود تناول طعام الفطور معها.

«هي في غرفتها يا آنسة نانسي، ولقد احضرت لكما الافطار، اما السيد غارد فقد ذهب الى احدى المزارع».

وقفت نانسي حائرة، فمجرد طلبها هذا معناه، ان الممثلة قررت اظهار مخالبها.

«حسناً، يا آنسة، هل ستذهبين مباشرة الى الآنسة ماريك، ام اخبرها انك ستبدلين ملابسك وتسرحين شعرك؟» قالت آليس.

توترت نانسي من كلمات آليس فمنذ قدوم ستيلا الى هذا المنزل، حتى الخادمة اصبحت نبراتها مهينة.

«انا متأكدة انه لن يزعج الآنسة ماريك رؤيتي هكذا على الافطار».

مشت نانسي قبل ان تستطيع الخادمة استيعاب القول.

طرقت نانسي على باب غرفة ستيلا بشجاعة.

«تفضلي بالدخول!» قالت بنبرة مسرحية.

دخلت نانسي الى الغرفة البيضاء ذات السجاد الاحمر، انتبهت نانسي عندما وجهت ستيلا نظرة باتجاه قدميها.

«احب السير على الشاطىء في الصباح».

«اسحبي الكرسي، واشربي فنجاناً من القهوة، اتمنى ان تكوني تحبين القهوة في الصباح؟».

«اجل، القهوة جيدة» قالت نانسي.

«هل تحبين بعض البسكويت؟».

«لا لست جائعة» رشفت من قهوتها.

«عطشى قليلاً».

«لقد ظننت ان هواء البحر سيجعلك نهمة، هل انت قلقة من شيء ما؟ فهذا وقت شيق بالنسبة لفتاة ستتزوج قريباً، لقد عرفت ان المصمم سيأتي ليصنع لك ثوب زفافك... على الاقل هذا ما قاله لي مارك هونيت. عندماتصلت ببيت الازياء قبل ايام قليلة من قدومي الى كورنويل، ماذا حصل، يا صغيرتي؟ هل قررت عدم الزواج بالساتان الابيض؟ هل تشعرين بالذنب بالنسبة لنشأتك الرهبانية؟».

«انا لست عشيقة غارد» قالت ببراءتها المعهودة.

«فهو بالكاد يحتاج للزواج من شخص يستطيع الحصول عليه دون اجراس وحلوى».

«حقاً؟ اذا انت تحتفظين بنفسك للزواج، اليس كذلك؟ حقاً انك اذكى مما تصورتك، او ان غارد اصبح اقل رغبة، الرجل الذي اتذكره، لا يُحضن بذراعي امرأة بالكاد...».

«لا اريد سماع ذلك».

نظرت نانسي الى ستيلا بكبرياء.

«اعرف كيف يشعر غارد نحوك، ولكني اعرف ايضاً كم جرحته وقت الحادثة».

«يمكن للناس ان تجرح هكذا فقط مع الاشخاص الذين يحبونهم، لا تجعلي نفسك مأخوذة بفكرة ان غارد يشعر نحوك، كما كان يشعر نحوي عندما كنت في عمرك، انه لامر مؤسف ان نكون طموحين الى هذا الحد، فأتى طموحنا كالسيف بيننا لعدة سنوات، هل يمكنك احتمال افكار كهذه ليلة زفافك، عندما يمارس الحب معك، وهو يتذكر فتاة اخرى كان يطارحها عبر الحقول، ودمه واعصابه ورغباته متوجهة نحوها؟».

«اعتقد انك لا تحبين سوى نفسك» قالت نانسي بشجاعة.

«ان يحبك غارد او اي شخص آخر، ليس سوى امتياز لحبك لنفسك».

«آه، يا لك من آنسة صغيرة ذكية».

ابتسمت ستيلا بلؤم.

«ان اكون محبوبة من شخص فهذا يعزز الانانية لكن هناك شيء مختلف هنا، لاننا نتكلم عن غارد، وهو شخص مميز، ان يتزوج فتاة تقليدية، سيبقى هنا في البراري ويضيع مواهبه الفنية، اقصد بالقول ماذا تعرفين عن الموسيقى التي يديرها غارد؟ هو دكتور في الموسيقى الراقية، هل سيضيع كل هذا على نكرة صغيرة؟ هل سترينه يضيع نفسه... عندما تحبينه؟».

كان الالم يعتصر نانسي وهي تسمع هذه الكلمات، شعرت ستيلا بحسها الانثوي، ان نانسي عندما تسمع هذه الكلمات فمن لطبيعي ان تنكر حبها لغارد.

«لن يستطيع قيادة الموسيقى ثانية» قالت نانسي.

«لا، لكن يمكنه التأليف من جديد، لماذا لا ترحلين، وتتركينه

لي؟ فانت تدركين انه يريدني انا... فهو يحاربني لاجل كرامته، محاولاً كبح حبه لي باستخدامك لصنع الفرصة المناسبة، هل تودين ان يستخدمك رجل ليبقى امرأة اخرى على الخليج؟ لكني اتوقع انك ستشعرين بالغرور لانه لاحظك، وكلانا يعلم كيف تشعرين نحوه، وكلانا يعلم انك لن تستطيعي ابداً اسعاده، فهو كثير عليك، يا صغيرتي».

«وهو جيد كثيراً بالنسبة لك، فلديه مشاعر بعض الامتنان للآخرين، لكن ليس لديك القلب الجيد كفاية، لتظهري له انه ما زال رجلاً عظيماً، في وقت احتاج فيه للاطمئنان اكثر من اي شيء في العالم، ربما ليس لدي شكلك او نظراتك آنسة ماريك، لكن اعلم ان لدي قلب كبير».

«قلب كبير للكسر ايتها الحمقاء، لاني لا انوي اعلام غارد عنك، انت، ابنة محتال حاول النصب على غارد وسرقته بألف جنيهاً استرلينياً! فبإسمك هذا كان من السهل معرفة من تكوني خاصة بمعارفي، ابنة نويل رايفورد، تكلمني عن اذية غارد! في يوم حادثته، سرقه محتال، فلم يتعرفوا عليه يوم الحادثة، القائد الموسيقي المشهور... كان على هذا الحال بسبب مجرمين، وانت يا طفلة المجرم تجرؤين على الجلوس هنا، ونعتي بالمتحجرة!».

صعقت نانسي مما سمعت، حدقت بستيلا محاولة عدم تصديق كلماتها.

«اعلم كم يحتقر غارد المجرمين، فقد صعقني امر خطوبته لابنة مجرم، لا اريد معرفة ما سأقوله لغارد لكن اود ان اعلم ماذا

ستفعلين نانسي فالآن اصبحت القطة خارج السلة».

«اين... نويل؟» لم تستطع نانسي تذكر وجه ابيها، لكنها وجدت اسمه مقبولاً على شفتيها.

«لقد أرسل للمحاكمة فقد سرق من غارد... هل ستتبعين خطاه وتسرقين من غارد، ما لا يخصك به؟».

«لم تستطع التحمل اكثر، خرجت من الغرفة بسرعة، والدموع تملأ عينيها، فلم تجد سوى ذراعين احتضنتاها.

«اين انت ذاهبة بهذه السرعة».

«بيار... لم يخبرني غارد ابداً ان لدي والد... لقد عرفت لتوي ان ابي في السجن!».

«ومن اخبرك هذا، ربما كلها مجرد اكاذيب».

«لا...» هزت نانسي رأسها.

«هل كانت ستيلا؟» سألها.

«نعم».

«يا للئيمة، تعالي يا طفلتي سنتنزه بالسيارة حتى تشعرين بتحسن تعالي!».

«اين غارد؟» سألت بعصبية.

«ذهب الى الجناح الغربي، ينهي بعض الاعمال».

«بيار هل تأخذني الى لندن؟ هل تأخذني بعيداً من هنا؟ لا استطيع البقاء اكثر من ذلك، فابي قد سرق من غارد والآن اعرف انه يكرهني!».

«عزيزتي...».

«ارجوك يا بيار، فجأة استطيع التعرف على مكان وجود الدير

انه في بازواتر، واريد العودة اليه، اتوسل اليك. . .».

«لا تتوسلي بالطبع سآخذك الى لندن، لكن يجب ان ترتدي معطفاً، فسيبرد الطقس عندما تغيب الشمس، والطريق الى البلدة طويل جداً، انتظري هنا، وجففي دموعك».

قذف منديل كبير الى حضنها واعطاها ابتسامة مطمئنة، ثم توجه نحو البيت، وهي تمسح عينيها سمعت نحيب طيور الماء الآتية من المستنقعات كان الصوت تماماً كنحيب قلبها.

الفصل التاسع

كانت اضواء المساء مشعة في لندن عندما كانت السيارة متوجهة بسرعة في منطقة بايزواتر الى الدير، كان امراً غريباً كيف ان ذكرى تلك الجدران القديمة قد عادت الى نانسي.

لم تستطع التصديق انها نست هذا المكان الذي عاشت فيه منذ طفولتها في قلب لندن.

«لقد ارادوا مني البقاء» اخبرت بيار.

«فالراهبة الموقرة اعتقدت انه يجب ان ابقى واصبح راهبة، لكني لم استطع».

«بالطبع لا، فانت لم تخلقي لحياة الرهبنة، وانت تملكين هاتين العينين، هل انت متأكدة انك تريدين العودة الى اولئك الراهبات الخيرات؟» سأل بيار.

«ليس لدي مكان آخر للذهاب يا بيار، انه منزلي الوحيد».

لم تكمل كلامها الا وصرخت.

«آه، لا. . . مستحيل ماذا حصل؟».

حيث كان الدير لم تجد سوى ردماً فاقترب منهم حارس ليلي

ليستعلم منهم اذا كانوا قد اضلوا الطريق.

«هل هذا هو الدير» قال بيار.

«هل اخطأنا في الطريق؟».

«لا، هذا مكانه فقد انتقل الراهبات الى مكان جديد».

«الى اي جزء من المدينة قد ذهبوا؟».

سأل بيار لان نانسي كانت مصعوقة تماماً.

«نانسي» لمس بيار خدها.

«قال الرجل ان الراهبة الام والاخوات قد ذهبوا الى نورثمبر لاند، لا استطيع يا عزيزتي ان آخذك الى هناك الليلة، فانت مرهقة، وجائعة وقواي قد خارت».

«انا آسفة يا بيار لسحبك كل هذه الطريق، من اجل مهمة حمقاء» قالت بندم.

«لم يكن لدي فكرة على ان الدير معد للدمار... كم يبدو الامر حزيناً، والشجيرات المتموجة تضفي عليه لمسة جنائزية».

«لا يجب ان تكوني مثبطة العزيمة يا نانسي، غداً ستتحسن الامور وستنتعش روحك من جديد».

«مضحك» تمتمت.

«قال لي غارد نفس الشيء تلك الليلة، عندما سألته عن حقيقة نفسي... لم يكن لديه الحق ابداً في الاحتفاظ بهذا سراً... ان ابي كان محتالاً».

«لا تلومي نفسك لذلك» تكلم بيار بحزم وادار محرك السيارة.

«انت فتاة مستقلة يا نانسي وستبنين حياتك الخاصة، لا يمكنك ان تلومي نفسك على ذنوب اهلك، فلا علاقة لك بالامر».

«قد اخذني ذلك الى غارد» قالت بنبرة ضعيفة.

«لاتوسل اليه ان يخرج نويل... لكن كيف يمكنه فعل هذا؟ كان نويل هو اللص الذي سرق محفظته... كيف يمكنه ان يسامحه؟».

«لا يستطيع» قال بيار.

«لن يكون بشرياً، لا يمكن طلب ذلك حتى من ملاك».

«انا سعيدة لاستطاعتنا الهروب دون ان يرانا، لربما كان ذلك جعل الامور صعبة».

«صعبة؟» ضحك بيار بسخرية.

«يا طفلتي لكان جعل الامور خطرة. الافضل ان نخدش ملاحظة سريعة، كما فعلت والانسحاب دون مشاهدة العدو».

«لا احب التفكير به كعدو، فانا اعرف ان دوافعه في ابقائي في منزله غريبة لكني سأصدق انه شعر بالاسف لاجلي اكثر من قصده هو اذيتي».

«هو ليس مؤذياً، لكن الحياة لعبت معه لعبة جهنمية، فانتزعت منه العصا السحرية لنجاحه والآن عليه ان يعيش فجعلته الحياة قاسياً».

جلست نانسي حزينة في مقعدها بينما عكس وجهها الاضواء المرحة التي تتسلل الى السيارة وهي تسير بسرعة على جادة شافتسبوري.

«هل نذهب لنأكل في مطعم صغير؟» سأل بيار.

«لا اريد ذلك» فكرة جلوسها في مكان عام جعلها تنقبض.

«انا ارتدي جينز واشعر انني غير نظيفة».

«اذا من الافضل ان نذهب مباشرة الى شقتي» قال.

«شقتك؟» نبرة منذرة سرت في صوتها.

«لا يمكنني اخذك الى اوتيل غريب وتركك هناك، ليس لديك ثياب او حقائب والفنادق تضع قوانين غريبة بالنسبة لهذه الاشياء فشقتي هي الحل الافضل، انها مريحة ودافئة، وفيها غرفتي نوم. اؤكد لك يا صغيرتي ان بعد قيادة هذه المسافة لن يكون لدي قوى لفعل شيء، والآن ماذا تقولين؟».

«ماذا يمكن ان اقول باستثناء شكرك على لطفك». ابتسمت له.

«فكوني نشأت في دير، لم تكن الطريقة الفضلى للتعلم عن الرجال، يجب التفكير بهم كملائكة، لكن بدلاً من ذلك نميل الى التفكير بهم كشهوانيين».

«دعينا نلقي اللوم على مصادمتك غير المحظوظة، بعد خروجك الى العالم الواسع الشرير».

«ابي... وغارد» قالت بهدوء.

«نكاد نصل الى البيت» قال بيار.

«ستشربين قريباً، قهوة ساخنة وتجلسين قرب النار، انعطف الى الجانب الآخر من الطريق، فأوقف السيارة وساعدها على النزول، ومشوا باتجاه المبنى المضاء وصعدوا اليه.

فتح الباب وضاء الرواق، نانسي ما تزال دائخة قليلاً من السيارة.

«دعيني آخذ معطفك».

اخذ المعطف عن كتفيها بكل اناقة وسحر فنظرت اليه بسرعة

بعينيها الخضراوين وابتسمت ابتسامة مرتجفة.

«لقد افسدت الامر بارتدائي الجينز انا آسفة يا بيار».

«لم تفسدي شيئاً يا عزيزتي» قال بخفة.

«لن يكون هذا مشكلة، اذا وضعت نفسك بين يدي».

«المعنى؟» حدقت به.

«بامكانك ان تفعلي ما يحلو لك في بيتي دون الشعور باي ضغط، والآن ما هي امنيتك الأولى يا سيدتي؟».

«حمام، احب ان آخذ حماماً اكثر من اي شيء آخر!»

«هذه امنية سهلة ومضمونة، تعالي!» اخذها عبر القاعة لتصل الى الحمام، ثم ذهب الى غرفته وعاد.

«حسناً، اتمنى ان لا تمانعي بارتداء احدى بيجاماتي التي اصبحت صغيرة علي؟».

«بيار انت لطيف جداً».

غمزها بطرف عينيه وذهب، فابتدأت هي بحمامها، لتغسل معه تعبها وافكارها المرهقة، وهي تتذكر الراهبة الام عندما اخبرتها ان نويل رايفورد هو زوج امها وليس اباها، حتى لا تظن انها سترث نفس صفاته، آه غريب كم تتذكر الآن.

انهت حمامها فارتدت البيجاما الحريرية والروب الذي اعطاها اياهم بيار، فرأت انه من الافضل ان يبدو شكلها احمق على ان يبدو مثيراً.

ضحكت وهي تأخذ المشط لتسرح شعرها المبلل، عندما تذكرت كيف سيكون تصرف غارد عندما يرى الملاحظة التي تركها له بيار، لتخبره انها عائدة الى الدير.

خرجت نانسي الى الغرفة لتجلس قرب النار، فلم تجد بيار فعرفت انه لا بد ان يكون في المطبخ يعد لهما العشاء.

ابتسمت لسحر الغرفة الدافىء حيث شقت طريقها وجلست قرب المدفأة.

«جيد، تبدين مسترخية اكثر».

قال بيار وهو يضع صينية الطعام على الطاولة فتوجهت نانسي الى الطاولة بعدما لاحظت كم هي خائفة الآن.

«يبدو شهياً، يا بيار». وهي تتذوق الطعام.

«آمل ان تكوني مرتاحة بالبيجاما، فأنا سعيد الآن لاني لم ابعهم في السوق، فربما قد تمنيت دائماً ان ترتديهم في يوم من الايام سيدة ساحرة تتناول العشاء مع اعزب وحيد».

«انا لست ساذجة لهذه الدرجة، حتى اصدق انك غالباً ما تتعشى وحدك» قالت بسخرية.

«تقصدين انك صدقت ما قالته ستيلا عني؟».

بدا نصف ساخراً ونصف مجروحاً.

«يجب ان تعلمي الآن ان ستيلا ليست لطيفة تماماً مع اصدقائها فاعداءها يخافون منها كثيراً».

«لكن غارد ما زال يحبها، حتى الآن» تمتمت نانسي.

«لا بد ان هناك شيء ما يحبه الانسان لاخطائك. لاحزانك. وليس فقط لفضائلك».

«بالطبع» وضع بيار طبقه الفارغ جانباً.

«هل هذا النوع من الحب الذي تأملين ايجاده، نانسي؟».

«انا لا افكر بالحب، فانا صغيرة جداً، ويجب ان افكر بامور

اخرى، العمل في هذا الوقت».

الفصل العاشر

«آه» ومضت عيناه.

«لن تذهبي الى الراهبات في نورثمبر لاند؟».

«لا، لا اظن اني اريد البقاء في لندن، انه وقت يجب ان اقطع فيه حبال العادات، اليس كذلك؟ لا يمكن ان اظل اركض الى الراهبة الام في كل محنة تمر في حياتي اتساءل ماذا افعل لاجل عمل؟ اذهب الى مكتب توظيف على ما اعتقد؟».

اومأ بيار برأسه مؤيداً.

«هل تعلمت اي عمل يمكن القيام به في الدير؟» سأل.

«اذا كنت تستطيعين الضرب على الآلة الكاتبة واخذ املاءات يمكنك العمل لدي، لا اطلب الاختزال فقط خط واضح، يمكنه نسخ حواري بدقة».

«اليس لديك سكرتيرة يا بيار؟».

لقد احبت فكرة العمل لديه، لكن كل شيء بدا جيداً كثيراً ليكون حقيقة.

«لدي سكرتيرة» قال.

«كانت شابة نتشاطر خدماتها انا وستيلا بعكس ما قالته ستيلا عن لوسي، لم اكن انا السبب في جعلها تترك العمل».

«في يوم من الايام» قالت.

«سيعامل احد ما ستيلا كريدمونة ويخنقها».

«هل ترشحين سانت كلير لدور اوثيلو؟» سأل بيار.

«يمكن ان يحدث هذا، اليس كذلك؟» شعرت بثقل في قلبها في تلك اللحظة.

«هم يبدون كعاشقين لا يمكنهما الحصول على السعادة اذا افترقوا او اذا كانوا معاً، آه، لم لا تتركه وشأنه؟ تدعه يجد طريقاً للسلام مع نفسه، من الافضل ان يحب شبحاً على ان يكون مطارداً دائماً من امرأة حية لا تريده ان ينسى الماضي، وتذكره دائماً بنجاحاته ومجده وهو خطيبها».

«كيف كان ذلك لك يا نانسي، عندما كان سيكون زوجك؟».

شعرت نانسي بعمق الفضولية في سؤاله... الرغبة في التأكد من ان قلبها لم يمس كجسدها.

«كانت كالحفلة التنكرية، حتى انه اعطاني خاتم ستيلا لاضعه، لقد احبها كثيراً، ولا يمكنه مسامحتها على رفضه لاجل ذراعه. فانا لا يمكن ان اخذله لاي عله في جسده، لكن ممكن ان اتحول عنه لتحجر قلبه، اذا تزوج غراد من ستيلا، ستحصل على الرجل الذي تستحق، لان قلب غارد قد تحول الى حجر».

«اخبريني هل سمعت ابداً موسيقاه؟».

«عرفت ان لديه مجموعة تسجيلات في منزله، لكنه يقفل عليها».

«سنجلس قرب النار ونشرب بعض النبيذ ونستمع الى بعض الموسيقى التي ربما ستساعدك على مسامحته قليلاً».

«اود ذلك».

قالت واقنعت نفسها بحقيقة انها قد سامحت غارد، ناولها بيار كأس نبيذ وجلسوا قرب النار.

«سأطفىء الانوار لنستمع الى الموسيقى قرب النار».

اظلمت الغرفة، وابتدأت الموسيقى، اغمضت نانسي عينيها، وكأنها تراه يعزف هذه الموسيقى لحب ايسولد المميت لزوجته القليلة الايمان.

كم هي حية ودراماتيكية هذه الموسيقى، آه ما اجمل عزفه، وكأن لديه قلباً اكثر من اي رجل في العالم.

خيم صمت حزين بعد انتهاء الموسيقى، وعلى وجوههم ظلال النار الصامتة.

«هذا غير عادل» بكت من حريق قلبها.

«كل اولئك الناس في شارع اوكسفورد ذلك الصباح، لماذا القدر انتقاه هو؟».

«لكي يدفع ضريبته للآلهة الحاسدة، كان اليونان يدعون دوماً ان الآلهة تغضب عندما يحظى اي فاني بلمسة عبقرية، وغارد حصل عليها دون شك. فانتزعوا له ذراعه ليجعلوه كغيره من الرجال».

«لن يكون ابداً كغيره من الرجال».

وقفت على قدميها وبدا التعب على وجهها.

«اود الذهاب للنوم يا بيار، فقد كان يوماً طويلاً، يوماً غريباً».

«الن تنهي كأسك؟» قال بلطف.

«اذا ذهبت للنوم وانت تعبة لن تغفلي ستقلبين دون نوم الخمر سيغشي بصرك... جربيه».

«حسناً» حملت الكأس وجرعته بسرعة.

«من فضلك اريد المزيد منه، انه جيد يا بيار» تجرعت كأساً ثانية.

«آه اشعر بغرابة هل تعتقد انني ثملت؟».

«بعد تجرعك لكأسين من النبيذ بهذه السرعة اقول نعم».

حملها وذهب بها الى غرفة النوم حيث وضعها على السرير، فأطرفت عينيها وكانت تقريباً نصف نائمة.

«انت لطيف جداً يا بيار».

«هذا ما تقولينه لي دائماً» وضع الاغطية عليها.

«شعرك يبدو جميلاً يا بيار، كالملاك».

«وماذا عن اجنحتي؟» تمتم.

«تصبح على خير يا بيار اراك في الصباح».

«اجل سنرى في الصباح بشأن احضار بعض الملابس لك، وايجاد مكان لتسكني فيه. تصبحين على خير يا عزيزتي».

اطفئت الانوار واغلق الباب خلفه، فزحفت دموعها على خدها، الموسيقى كانت جميلة جداً، لكنها كانت كالاغنية المائتة لحبها لغارد، كان يجب ان يموت، اذا ارادت ان تبني حياة جديدة لها في لندن... مع بيار.

عندما استيقظت في الصباح وجدت قربها ورقة، فمدت يدها لتجلبها.

«عزيزتي ذهبت لارى وكيلي وفي طريقي الى البيت سأشتري للغداء دجاجة، وثوب لك، آمل ان يكون باستطاعتك الطبخ؟».

ابتسمت وبعد دخولها الحمام اعدت فنجاناً من القهوة وتجولت في انحاء البيت، وبعد مضي القليل من الوقت رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة.

«آلو» واعطت الرقم الموجود على الهاتف، بعد دقيقة صمت.

«نانسي؟» رعد اسمها كالطبول في اذنيها وكل شريان تجاوب مع الصوت المعروف لها تماماً.

«اجل» قالت بتأكيد.

«انا هنا مع بيار، وانا سعيدة تماماً، لذلك لا داعي لتقلق نفسك بشأني بعد الآن».

«لا تكوني طفلة» قال لها.

«لا تناديني طفلة» ردت بسرعة.

«لقد سمعتني اقول انني مع بيار في هذه الشقة، وسأعمل لديه لذلك لن تحتاج لتقلق بانني سأسير على الطريق الخطأ مثل نويل، ارجوك بلغ تحياتي لستيلا، واشكرها لانها وضعتني على الطريق القويم».

«نانسي، لا تقفلي السماعة! نصف الليل...».

«انا متأكدة انك غاضب مني لرحيلي دون ان تحظى بفرصة رؤية وجهي عندما تذكرت تلك الليلة الاولى... كل الخير الذي فعلته لاجل نويل».

اخذت نفساً عميقاً.

«حسناً، كل شيء انتهى الآن يا غارد، انا مع بيار وهو لطيف

معي».

اقفلت الخط بسرعة ثم تراجعت عن الهاتف وكأنه سيضربها.

استدارت فرأت في المرآة وجهها الابيض وعيناها المحدقتان بتوتر وانفعال وتعاسة كبيرة لماذا اهتم الى هذا الحد؟ لماذا لم تشعر بهذا التوق نحو بيار الذي كان لطيفاً معها؟ ولكن سرت رجفة في جسدها، فقد ادركت ما ارادته، بكل عرق في كيانها كان سيلان وتدفق مشاعرها.

جلست في غرفة الجلوس تطلب الدفء، لكنها لم تعرف كم من الوقت بقيت على هذا الوضع، لكن ما ايقظها من ذهولها صوت طرق على الباب، فربما اتى بيار ولم يتمكن من فتح الباب، قبل فتحها الباب اجبرت نفسها على الابتسام.

فتحت الباب... تجمدت الابتسامة على شفتيها...

«غارد!».

«اجل» قال. «شخصياً».

دخل وخلع معطفه.

«ماذا تفعل هنا؟» طالبته.

«ظننت انك تتصل من مسافة بعيدة».

«كنت اتصل من بادينغتون، واتيت الى هنا في سيارة اجرة».

حدق بها وهي تقف عند الباب المفتوح.

«اغلقي الباب نانسي».

«ماذا تريد يا غارد؟» اغلقت الباب بقوة.

«لقد اخبرتك على التلفون انني سأعمل لدى بيار انه ما اريد...».

«حقاً؟».

وحصل ما لم يكن ممكناً ان يحصل... ذلك الفم القاسي ابتسم بلطف دون سخرية او هزء.

«منذ منتصف الليل وانا مسافر من كورنويل لكن صدقيني يا نانسي انني لم اقطع هذه المسافة لاسمعك تقولين انك تريدين ان تكوني سكرتيرة، هل نذهب الى الصالة؟ وقوفي هنا يجعلني اشعر وكأنني اتيت لافحص لك الغاز».

«ليس لديك حدود في شيطانيتك يا غارد! انت دائماً تصدر الاوامر، تخبرني ما يجب ان افعل».

«هل هذه هي الصالة؟».

فتح باب الغرفة التي كانت نائمة فيها.

«لقد جئت الى هنا قبلاً» قالت.

«انت فقط تريد التحقق اذا كنت نمت مع بيار، آه، يا الهي اود ان افعل شيئاً يهزك...».

«تعالي الى هنا».

طوقها بذراعه قبل ان تستطيع التراجع وادخلها الى الغرفة.

اغمضت عينيها بألم وحب.

«هل تظنين انني لم اهتز عندما رأيت ملاحظة دومونت وادركت انك ذهبت يا نانسي؟ لساعات استمريت في الكلام مع نفسي، انه من الافضل ان تذهبي من طريقي، ان تكوني حرة من رجل اذاك عندما اراد ذلك، واستخدمك لغرض مرير، اجل، اردت ان اظهر لستيلا انها لن تستطيع ايذائي بعد الآن، فاستغليتك، ووضعتك في مواجهة معها، بافتراضي المتعجرف ان لدي الحق

فيك، لان اباك سرقني...».

«هو ليس ابي!».

ارادت ان تفهمه انها ليست طفلة رجل يحتقره.

«تزوج امي عندما كنت طفلة صغيرة، عندما تركته، تركتني بين يديه، فوضعني في الدير، والآن قد ولى الدير، لهذا السبب احضرني بيار الى شقته فقد كان لطيفاً جداً...».

«لطيفاً جداً تماماً كعدم لطفي انا... ها؟».

اومأت لانها الحقيقة.

«كان بامكانك ان توفر على نفسك رحلة طويلة يا غارد، فقد عادت ذاكرتي الي ولن ألومك على التفكير بي كنسخة من نويل رايفورد، يمكن احتقارها واستغلالها، لتنسى كل هذا، فلديك ستيلا... ولدي عملي مع بيار لننظر الى الامام... غارد!».

اتى صوته كالصرخة بينما امسكت اصابعه معصمها وكاد ان يكسر لها عظامها...

«نانسي... يا طفلتي».

ابيض لونه، لرؤيتها خائفة ترتجف من نظراته.

«لماذا اسبب لك دائماً هذه الرجفة، بينما كل ما اريد... كل ما اريد...».

«اخبرني يا غارد» شعرت بعدم استقرار لكن آمل غريب وقوي كان يطرق قلبها.

«آه، اخبرني!».

«كل ما اريد هو ان احبك».

قال وكأن شفتاه تحترق.

«لقد فات الاوان بالطبع، كان يجب ان اخبرك هذا هناك في كورنويل، وانا احظى بأمل احتضانك، والآن تريدين ذلك الوسيم الفرنسي، بلكنته الساحرة، واخلاقه الادبية... وجسده المتكامل!».

«لا تفعل يا حبيبي!» بكل جوع جسدها لفت يديها حول غارد، تضغط على جانبه الابتر وكأنها تريد الدخول الى قلبه.

«يا عزيزي الشيطان...».

«لا تشفقي علي، الى الجحيم اذا كان هذا سيأتي من امرأة!».

«اشفق عليك؟ سيكون الامر وكأنني احاول خنق عاصفة بكلمات لطيفة، انت لست بنصف لطف بيار، واخلاقك بغيضة في بعض الاحيان، فما زلت احاول معرفة ما الذي اسرني بك...».

«ماذا؟».

«لقد سحرتني بطريقة صادمة، بالنسبة لفتاة آتية من دير، يكفي ان انظر اليك لاشعر بضعف، كلما لمستني كان يجب ان اقاومك من اجل شرفي، انها طريقة مهينة منك ان تجعلني اعري نفسي بهذه الطريقة».

«وانت يا آنسة كان لديك كل هذه القوة منذ البداية، نانسي، اريدك بكل جوارحي وكل عواطف قلبي، الى الجحيم سنيلا! فقد حظت بحب صبياني، لكن انت، انت ساحرة العينين الخضراوين لديك قلبي، هل تتزوجيني... غداً؟ لقد طلبت الكنيسة لموعد محدد، والمنزل ينتظر والاشباح ذهبت».

«سأتزوجك يا غارد، سأحبك كما لم يحبك احد من قبل حتى من ممثلة جميلة».

«جميلة؟ لديك اكثر من ذلك، يا حبي الصغير، اكثر من دزينة مثلها، لديك جمال الروح والشجاعة، شجاعة لفتاة لتتقبلني لن يبدل الحب طبعي، ولن يحضر لي ذراعي اليمنى».

«الا تظن ذلك؟ ما هذا؟» وضعت يدها اليمنى قرب قلبه.

«سأعطيك يدي حبيبي غارد».

«اذا كنت تعرضين علي يدك سآخذها يا نانسي، فانها ستقودني الى الجنة».

«آه، غارد، يا له من قول رائع!».

حضنا بعضهما، وكأنهما صيغا كواحد بلهب الحب الذي احرق كل الشكوك، والآلام والاخطاء.

اصبحوا كواحد... الآن... غداً... حتى تبرد النجوم وتموت.

ضاعا في تلك القبلة الطويلة حتى انهما لم يسمعا الشخص الذي فتح الباب ثم انسحب بهدوء.

فقد عرف، كما عرفت السماء ان هذين الشخصين الوحيدين قد وجدا بعضهما الآن.

www.liilas.com